الوسطية في التعامل مع المخالف

الدكتور
محمود بن سعد بن عبد الحميد شمس
الأستاذ المساعد بقسم القراءات
كلية الشريعة والأنظمة
جامعة الطائف

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فقد أرسل الله ﷻ رسوله محمدا ﷺ رحمة للعالمين، كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقد جعل الله ﷻ تلك الرسالة للخلق جميعا على امتداد العصور، واختلاف الأزمنة، والدهور لما تحوي على منهج متكامل للحياة البشرية بكل ما تحمله من متغيرات هائلة، وهو منهج صالح للتعايش، والتعامل بين بني البشر ؛ لتحقيق إعمار الكون، والاستخلاف في هذه الأرض.

ونجد الحق ﷻ يؤكّد أنه ﷻ لحكمة أرادها، فقد جعل الناس منهم المؤمن، ومنهم الكافر، وبيّن أن اختلاف الناس في تدينهم لربهم أمر بمشيئة الله ﷻ، ولو شاء الله ﷻ أن يهدي الناس جميعا لفعل، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]. ووضَعَ الحق ﷻ في تشريعه في هذا الدين ما يضمن الحياة للناس جميعا ؛ حتى لو كان مخالفا في الدين ما لم يكن هناك عدوان.

وتلك الأسس التي وُضعت في تلك الشريعة لم تعرفها البشرية من قبل، فقد عاشت تلك المجتمعات تقاسي الويل من الحقد، والكراهية، ونبذ المخالف .

لكن الدين الإسلامي دين الوسطية، والاعتدال، لا ينبذ المخالف، بل وضع له من الحقوق ما يضمن له العيش في أمان ما لم يكن هناك عدوان.

وقد طبّق النبي ﷺ أسس التعامل مع المخالف وِفْق منهج الله ﷻ في ذلك، وكذلك صحابته من بعده، وكذلك السلف الصالح الذين فهموا أمور دينهم فهْما صحيحا.

وقد ظهر مَن يرى أن الوسطية تعني: التنازل عن ثوابت ديننا، أو الخيانة لهذا الدين، وهذا فهم خاطئ نشأ عن جهل هؤلاء بمفهوم الوسطية، والبعض الآخر

يرى ضرورة الغلو، والتطرف، والتشدد ؛ حتى لا يتهم بتقصيره، وهذا أيضا فهم خاطئ .

فكان الواجب على طلاب العلم، وأهله إبراز مفهوم الوسطية، والتعامل مع المخالف في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية، وفي ضوء فهم السلف الصالح لذلك.

ومن أجل ما سبق رأيت أن أشارك بوضْع لبنة في إبراز سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف بالمشاركة ببحث بعنوان: الوسطية في التعامل مع المخالف.

أهمية الدراسة .

تأتي أهمية الدراسة لما تبرزه من تأكيد على سماحة هذا الدين في التعامل مع المخالف، وإبراز أهداف، وأسس التعامل نع المخالف، وقواعد، وضوابط في ذلك .

وأن التسامح لا يعني ضعْفا، ولا تنازلا عن ثوابت هذا الدين ؛ حيث إن المجتمعات الإسلامية في حاجة شديدة لإبراز الفهْم الصحيح لدين الله ﷻ . والدراسة إذ تبرز أهمية الوسطية، وسمو تعاليم هذا الدين، وأنه يضع الأسس، والضوابط التي تضمن العيش الآمن للجميع، فإن تلك المفاهيم تنطلق من خلال ما ورد في كتاب الله ﷻ،وسنة نبيه ﷺ إيمانا بأهمية إبراز تلك الوسطية بمفهومها الصحيح في عصرنا الحاضر.

وأهمية تلك الدراسة تبرز من خلال ما يأتي:

١- أن نظرة البعض للإسلام أنه دين الإرهاب، والعدوان . مع أن الدين الإسلامي من هذا كله براء ؛ فكان لا بد من إبراز سماحة هذا الدين من خلال تلك الدراسات النافعة بإذن الله ﷻ .

٢- العالمية التي نعيش فيها، وأن العالم أصبح كالقرية الواحدة، وبما أن الدين الإسلامي – هو الدين العالمي، فكان لا بد من بيان ما يدعو إليه هذا الدين من تسامح، وبر، ورحمة بين أفراد المجتمع حتى لو كانوا مختلفين في عقيدتهم، وفي تدينهم.

٣- التأكيد على أن لكل إنسان حرية اختيار ما يريد، والله ﷻسيحاسب كل إنسان على ذلك. ولسنا مطالبين بمحاسبة الناس على تدينهم لربهم ﷻ.

٤- إبراز حسن الظن بالمسلم، فكل إنسان لا يخلو من خير، فنتعامل مع الجميع على ظاهرهم، والله ﷻ يتولى السرائر.

ومن أسباب اختياري للموضوع – إلى جانب ما ذكرت سابقا – ما يلي:

١- الوقوف مع كلام الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ تأمّلاً، وتدبّراً، واستنباطاً لما ينفع الناس، وهذه بحد ذاتها غنيمة عظيمة.

٢- أهمية هذا الموضوع، وحاجة المجتمع المعاصر، والمكتبة الإسلامية لهذه الموضوعات التي أصبحت ضرورة لابد فيها.

٣- إبراز سماحة الدين الإسلامي في التعامل مع المخالف إشارة أن الأرض تسع الجميع للتعايش، وأن الدين الإسلامي-هو دين التسامح، والمحبة، والرحمة، والعدل،والإنصاف.

٤- إبراز القواعد الحضارية في التعامل مع المخالفين في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية.

٥- إزالة الصورة المشوّهة ضد الإسلام،والمسلمين بالسلوك العملي الواقعي من خلال بيان كيفية التعامل مع المخالف.

الدراسات السابقة.

لم تخل الساحة من كتابات، ومؤلفات لها صلة بهذا الموضوع – و بقدر طاقتي في الاطلاع على المؤلفات المتعلقة بالموضوع في الساحة – وجدتها على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: يعنى بـ: الوسطية بشكل عام، أو في ضوء القرآن الكريم، والسنة النبوية . مثل:د/ يوسف القرضاوي في:كلمات في الوسطية ومعالمها،وفي أحد بحوثه:الوسطية ودور الإعلام في إبرازها.

ومثل الوسطية في الإسلام – تعريف وتطبيق – د. زيد بن عبد الكريم الزيد .

ومثل:الوسطية في الإسلام . فريد عبد القادر . والوسطية في ضوء القرآن الكريم . د / ناصر العمر،

ود / علي الصلابي، وهذا النوع تناول الوسطية بعمومها، مبرزا ملامحها.

النوع الثاني: يعنى بـ: التعامل مع المخالف . من منظور فقهي . مثل: قواعد في التعامل مع المخالف .د/ عبد الله الطريقي .

أو: فقه الائتلاف – قواعد في التعامل مع المخالفين بالإنصاف. محمود الخزندار.

أو: فقه الرد على المخالف . خالد السبت .

أو: بيان لإنصاف أهل السنة والجماعة، ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي.
أو: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د / يوسف القرضاوي. وهذا النوع تناول التعامل مع المخالف من منظور فقهي، وفصّل هؤلاء الفضلاء أقوال العلماء في التعامل مع المخالف ، أو في الرد عليه .
وأما د / يوسف القرضاوي فقد فصّل القول تفصيلا فيما يتعلق بغير المسلمين في المجتمع الإسلامي مستطردا في الكلام عن أهل الكتاب.
النوع الثالث: يعني بـ: الحوار مع المخالف. مثل: الحوار مع أهل الكتاب. خالد القاسم .
و مثل: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية . د/ رقية العلواني.
ومثل: مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق . د/ يوسف القرضاوي.
وهؤلاء الأفاضل بينوا الحوار مع المخالف، وهو محور من محاور التعامل.وبالتالي لم يتم الوقوف على دراسة تجمع بين: الوسطية، التعامل مع المخالف بأسلوب يروم التكامل والشمول لإبراز: الوسطية في التعامل مع المخالف . مما يؤكد أهمية تلك الدراسة، وضرورتها المنهجية، والعلمية خاصة في الوقت الحاضر.
فما اطلعت عليه: إما تركيز على الوسطية بعمومها وهو كلام عام، وإما عن قواعد في التعامل مع المخالف لكن برؤية فقهية بحتة قد لا يستفيد منها عامة الناس، وإن تميّزت للمتخصصين، لكن المجتمع في هذا العصر يحتاج لمخاطبة عامة الناس لحاجتهم الملحة في عرض تلك القضايا بما يتناسب معهم، دون الدخول في التفصيل في مسائل فقهية، وخلافات قد لا يستطيع عامة الناس الخروج بفائدة.
وإما في جانب الحوار فقط، وهو جانب خاص ؛ لأن الحوار أحد جوانب التعامل، وإن كان يمثل أساسا لكن الفائدة التي تخدم المجتمع تركّزت في جانب واحد.
وبالتالي فإني قد حاولت بقدر طاقتي البشرية سدّ تلك الجوانب، وإبراز الوسطية في منهج الله ﷻ في التعامل مع المخالف معتمدا في ذلك على ما ورد في الكتاب، والسنة، ومن المصادر التي تتفق مع منهج أهل السنة والجماعة في ذلك ؛ لأنه المنهج العدل المنصف لكل مخالف لا تباعه بما ورد في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية . وأسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت في ذلك.

خطة البحث.

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة كما يلي:

١-المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، ومنهجي في البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

٢- التمهيد: مقدمات في التعريف بمصطلحات البحث . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الوسطية، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الوسطية في اللغة:

الفرع الثاني: استعمال القرآن الكريم، والسنة النبوية لكلمة: (وسط):

الفرع الثالث: مفهوم الوسطية في الاصطلاح:

المطلب الثاني: مفهوم: التعامل مع المخالف: وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: مفهوم: التعامل في اللغة:

الفرع الثاني: مفهوم التعامل في الاصطلاح:

الفرع الثالث: مفهوم المخالف في اللغة:

الفرع الرابع: مفهوم المخالف في الاصطلاح:

الفرع الخامس: أنواع الخلاف أو الاختلاف، والمخالفين:

المبحث الأول: أهداف التعامل مع المخالف . وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهداف التعامل مع المخالف المسلم، وغيره.

المطلب الثاني: أهداف التعامل مع المخالف المسلم.

المبحث الثاني: أسس التعامل مع المخالف.

المبحث الثالث: صفاتٌ ينبغي أن يتحلى بها المتعامل مع المخالف.

المبحث الرابع: قواعد وضوابط في التعامل مع المخالف . وفيه مطلبان.

المطلب الأول: قواعد، وضوابط في التعامل مع المخالف المسلم، وغيره.

المطلب الثاني: قواعد، وضوابط في التعامل مع المخالف المسلم .

الخاتمة: وتشمل ما يأتي:

أ-أهم النتائج. ب- أبرز التوصيات.

الفهارس الفنية:

٢-فهرس الآيات. ٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣-فهرس المصادر والمراجع. ٤- فهرس موضوعات البحث.

٥- كشاف أهم المصطلحات الشرعية.

والله ﷻ أسأله التوفيق لي وللجميع.

التمهيد: مقدمات في التعريف بمصطلحات البحث.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الوسطية، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: تعريف الوسطية في اللغة:

كلمة: (الوسطية) مشتقة من مادة: (وسط) وتُضْبَط بسكون السين، وبفتحها.

ويختلف معناها تبعا لضبط حركة السين كما يأتي:

أولا:(وسْط)بسكون السين؛فتكون ظرفالااسما،وهي بمعنى:(بيْن)؛تقول:جلست وسط القوم؛أي:بينهم. (١).

ثانيا:بفتح السين مخففة،وهي:اسم،وليست ظرف،وهنا يتعدد المعنى للكلمة،وكلها معان متقاربة كما يأتي:

١- تكون اسما لما بين طرفي كل شيء،ووسط فلان:جماعة من الناس وهو يسطهم إذا صار في وسطهم (٢)

والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان ؛ يقال: هذا أوسطهم حسبا إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلا وكالجود الذي هو بين البخل والتبذير، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم: فلان وسط من الرجال(٣) .

(١)- لسان العرب ٤/ ٤٢٦ مادة: (وسط).
(٢)- العين الخليل بن أحمد ٢٧٩/٧ مادة: (وسط).
(٣)- غريب القرآن للأصفهاني ١ / ٥٢٢ .

٢- وتكون بمعنى: العدل، والنصف . فوسط الشيء، وأوسطه: أعْدلُه[١]. والواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل، والنصف . وأعدل الشيء أوسطه ووسطه، ويقولون: ضربت وسط رأسه، وهو أوسطهم حَسَبا إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا[٢] .

٣-وتكون صفة بمعنى "خيار"، وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء خياره وأفضله وأجوده، فتقول وسط المرعى خير من طرفيه، ورجل وسط ؛ أي: حسن.

وقيل في صفة النبي :ﷺ أنه كان من أوْسَط قومه ؛ أي: من خِيارهم . والعرَب تَصِف الفاضلَ النَّسَبِ بأنه من أَوْسط قومه[٣]. ويطلق الوسط على خيار الشيء ؛ لأن الأوساط محميَّة بالأطراف[٤].

٤-وتكون بمعنى: مابين الجيد والرديء، يقال: شيء وسط ؛ أي: بين الجيد والرديء [٥].

وذكر صاحب الوسطية في الإسلام (تعريف وتطبيق) [٦].: أن كلمة: وسط تدور حول معنيين لأحدهما صلة بالآخر:

المعنى الأول: وسط الشيء مابين طرفيه [٧].

ويراد به الوسطية المكانية أو الزمانية بين طرفين، ثم أصبح هذا التعريف أكثر شمولا ليطلق على وسطية الجهات والمقادير والمعاني وكل شيء من طرفين . ولأن وسط كل طرفين — هو: غاية البعد عنهما معا ؛ فإن من كان في الوسط فهو بعيد عن هذين الطرفين بقدر الإمكان، وهذا يدلنا على المعنى الثاني وهو الأهم والمراد هنا.

المعنى الثاني: الوسط من كل شيء أعدله [١].

(١)- لسان العرب ٤/ ٤٢٦، والقاموس المحيط الفيروز آبادي ص ٨٩٣ مادة: (وسط).
(٢)- معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٦ /١٠٨ مادة (وسط).
(٣)- تهذيب اللغة للأزهري ٢١/١٣ مادة: (وسط).
(٤)- اللباب في علوم الكتاب ١٠/٣.
(٥)- المصباح المنير ٢٥٢، مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي ٧٤٠.
(٦)- الدكتور/زيد بن عبد الكريم الزيد في كتابه: الوسطية في الإسلام تعريف وتطبيق.دار العاصمة.الرياض.
(٧)- لسان العرب ابن منظور ٤٢٦/٤.

والوسط حينئذ ليس مجرد كونه نقطة بين طرفين ؛ لأن هذا المعنى وإن كان قد درج عند الكثير من الناس إلا أنه فهم ناقص مجتزأ أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية المقصودة، وصار بسبب هذا المعنى: التحذير من الإتقان، والإجادة مساويا للتحذير منت عدمها، وصار المتوسط الذكاء أفضل من اللامع العبقري[٢].

ولم يَبق معنى الوسطية مجرد التجاور بين الشيئين فقط . بل أصبح ذا مدلول أعظم، ألا وهو البحث عن الحقيقة في كل اتجاه، وتحصيلها والاستفادة منها[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح أن تلك الكلمة لا تخرج عن معاني: العدل، والفضل، والخيرية، والنصف، والبينية، والجيد، والتوسط بين الطرفين . وكلها معانٍ متقاربة.

الفرع الثاني: استعمال القرآن الكريم، والسنة النبوية لكلمة: (وسط):

قد وردت مادة "وسط " في القرآن الكريم في عدة مواضع بألفاظ مختلفة، وبمعان متعددة ؛ حيث وردت بلفظ: "وسطا"، و"الوسطى"، و " أوسط "، و" أوسطهم "، و"وسطن".

كما ورد في بعض الآيات معنى (الوسطية) دون ورود لفظ: الوسطية، وسأبين معنى كل كلمة على وفق ورودها في القرآن الكريم مسترشداً في ذلك بأقوال المفسرين:

أولاً: استعمال القرآن الكريم لكلمة: وسطا:

قد وردت في قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١)- ينظر: تاج العروس للزبيدي ٥/٢٣٨.

(٢)- الوسطية في الإسلام تعريف وتطبيق د زيد بن عبد الكريم ص ١٩ نقلا عن مقال بعنوان: حول الوسطية في الإسلام ص ٥٧ زهير الكومي مجلة القدس الشريف ٥٣ شهر ١٢/ ١٤٠٩هـ بتصرف.

(٣)- الوسطية في الإسلام تعريف وتطبيق د زيد بن عبد الكريم ص ١٩بتصرف.

فقد ورد تفسير كلمة: (وسطا) في السنة النبوية ؛ فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت ؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته هل بلغكم ؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول من يشهد لك ؟ فيقول محمد، وأمته فيشهدون أنه قد بلّغ، ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ فذلك قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، والوسط: العدل" [(١)].

وروى الطبري [(٢)] بإسناده عن النبي ﷺ في قوله ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: عدولا"[(٣)] ويؤكد ذلك رواية البخاري السابقة.

وقيل ؛ أي: متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكّيْن بالعلم والعمل[(٤)].

وذكر صاحب تفسير المنار[(٥)] في قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أن ذلك تصريح بما فهم من قوله ﷻ: ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ؛ أي: على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطا، قالوا: إن الوسط – هو: العدل والخيار، وذلك إن الزيادة على المطلوب في الأجر إفراط والنقص عنه تقصير وتفريط، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة فهو شرط مذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر؛ أي: التوسط

(١)– صحيح البخاري كتاب التفسير باب " وكذلك جعلناكم أمة وسطا " ١٧٦/٥ رقم ٤٢١٩، وانظر فتح الباري لابن حجر كتاب الجهاد والسير باب درجات المجاهدين ١٦/٦.

(٢)– محمد بن جرير ابن يزيد،عالم العصر، أبو جعفر الطبري، من أهل آمل طبرستان. ولد سنة ٢٢٤ هـ، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. له كتابه في التفسير وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة. توفي ٢من شوال سنة ٣١٠ هـ . انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤ / ٢٦٧ . ٢٨٢ .

(٣)– جامع البيان للطبري ٧/٢.

(٤)– تفسير أبي السعود ١٧٢/١.

(٥)– الشيخ / محمد رشيد علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني البغدادي الأصل صاحب مجلة "المنار" وداعية الإصلاح والتجديد، له تفسير يسمى تفسير القرآن الحكيم ومشهور باسم تفسير المنار وهو غير كامل فقد انتهى (يرحمه الله) إلى الآية ١٠١ من سورة يوسف في سنة ١٣٥٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي ١٢٦/٦.

بينهما.....، ثم ذكر أن من أسباب اختيار كلمة: وسطا دون: خيارا أو عدولا: أن في لفظ الوسط إشعارا بالسببية، فكأنه دليل على نفسه.

أي: أن المسلمين خيار وعدول لأنهم وسط ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرّطين، فهم كذلك في العقائد، والأخلاق، والأعمال" [(١)] أ.هـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي[(٢)] في قول الله ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾؛

أي: عدولاً وخياراً، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل هذه الأمة وسطا في كل أمور الدين، ووسطا بين الأنبياء [(٣)] أ.هـ

وذكر الرازي عند تفسيره لتلك الآية الكريمة قوله: واختلفوا في تفسير الوسط وذكروا أمورا أحدها: أن الوسط هو العدل.

القول الثاني: أن الوسط من كل شيء خياره قالوا:وهذا التفسير أولى من الأول لمطابقته لقوله:ﷻ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠][(٤)].

إنها الأمة الوسط بكل معاني (الوسط) سواء من الوساطة بمعنى: الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد أو الوسط بمعناه المادي والحسي، أمة وسط في التصور والاعتقاد، أمة وسطاً في التفكير والشعور، أمة وسطاً في التنظيم والتنسيق، أمة وسطاً في الارتباطات والعلاقات، أمة وسطاً في الزمان، أمة وسطاً في المكان [(٥)].

(١)- تفسير المنار ١/٥١٤.
(٢)- هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي الحنبلي ولد بـ عنيزة في القصيم في المملكة العربية السعودية سنة ١٣٠٧هـ كان عالماً محرراً نبغ في علوم عديدة منها العقيدة والفقه توفي سنة ١٣٦٧هـ . انظر ترجمته في: مشاهير علماء نجد. ص٣٩٢.
(٣)- تفسير السعدي ١/ ٧٠.
(٤) – التفسير الكبير للرازي ٤/ ٨٨-٨٩.
(٥)- في ظلال القرآن سيد قطب ١/ ٦٣١.

ثانيا:استعمال القرآن الكريم لكلمة: الوسطى:

قد وردت هذه الكلمة في قول الله ﷻ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[البقرة: ٢٣٨] .

من خلال ما ذكره العلماء سأبين بحول الله وقوته سبب تسمية تلك الصلاة بالوسطى دون أن أتعرض لأقوال العلماء في أي الصلوات هي؟ بإيجاز كما يأتي:

فقد ذكر الطبري بأسانيده أقوال العلماء في المقصود بالصلاة الوسطى مبينا أنها إما: صلاة العصر، أو الظهر، أو المغرب، أو أنها إحدى الصلوات الخمس دون تحديد صلاة بعينها، وعند ذِكْر من قال بأنها صلاة المغرب، قال: وقوله: الوسطى إلى معنى التوسط الذي يكون صفة للشيء يكون عدلا بين الأمرين كالرجل المعتدل القامة الذي لا يكون مفرطا طوله ولا قصيرة قامته ولذلك قال: ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها ؟ ثم رجّح أنها صلاة العصر، ثم قال: وإنما قيل لها الوسطى: لتوسطها الصلوات المكتوبات الخمس وذلك أن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ؛ وهي بين ذلك وُسْطاهن ..... ثم قال: والوسطى: الفعلي من قول القائل: وسطت القوم أسطهم إذا دخلت وسطهم [(١)].

والغالب الأعم من المفسرين أن سبب تسمية تلك الصلاة بالوسطى ؛ أي: المتوسطة بينها أو الفضلى منها، من قولهم: للأفضل: الأوسط [(٢)].

وقال ابن عاشور[(٣)]– يرحمه الله–: "فأما الذين تعلقوا بالاستدلال بوصف الوسطى فمنهم من حاول جعل الوصف من الوسطى بمعنى الخيار والفضل، فرجع إلى تتبع ما ورد في تفضيل بعض الصلوات على بعض..ومنهم من حاول جعل الوصف من

(١)– انظر: تفسير الطبري ٥٦٨/٢.

(٢)– انظر: التفسير الكبير ٢٩/٦، تفسير أبي السعود ٢٣٥/١، تفسير القاسمي ٦٢٢/٣، زاد المسير ٢٨٢/١.

(٣)–محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، في تونس . ولد سنة ١٣٢٧ هـ وشغل خطة القضاء بتونس ثم = =منصب مفتي الجمهورية، وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي بمكة . توفي سنة ١٣٩٠ هـ .انظر: الأعلام للزركلي ٦ / ٣٢٥ .

الوسط، وهو الواقع بين حالتين متساويتين من العدد فذهب يتطلب الصلاة التي هي بين صلاتين من كل جانب" [1].

ونلحظ من خلال أقوال المفسرين في سبب تسمية تلك الصلاة بالوسطى ارتباطا بين: تلك الكلمة، وموضوع الوسطية الذي هو موضوع هذا البحث.

ثالثا: استعمال القرآن الكريم لكلمة (أوسط):

وقد وردت هذه الكلمة في آيتين كريمتين هما:

أ-في قول الله ﷻ: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ [المائدة الآية: ٨٩]

ب – وفي قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم: ٢٨]

وقد فرّق بعض المفسرين بين معنى الكلمة في كل موضع باعتبار أن السياق يحتمل معنى: بين القليل والكثير، بين: الجيد والرديء في موضع سورة المائدة دون الموضع الآخر، ومنهم من جعل المعنى واحدا في الموضعين على اعتبار اتفاق الموضعين في معنى: الأفضل، والخيار، وهو: الأعدل.

ج– آية سورة المائدة:

قال الطبري: يعني بقوله ﷻ: ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾: أعدله.
وقيل: معناه من أوسط ما يطعم من أجناس الطعام، وقيل: أن تطعم كل مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع، وقد رجّح الطبري قول من قال: من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلة والكثرة [2].
وقال القرطبي[1]: قد تقدم في البقرة أن الوسط بمعنى الأعلى والخيار وهو هنا منزلة بين منزلتين ونصفا بين طرفين . وما ورد عن ابن عباس ﷺ في سبب نزول الآية،

(١)– تفسير التحرير والتنوير ٤٦٧/٣.
(٢)– تفسير الطبري ١٦/٧ –٢٢.

قال: كان الرجل يقوت أهله قوتا فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتا فيه شدة ؛ فنزل قوله ﷻ: ﴿ من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾، وهذا يدل على أن الوسط ما ذكرناه ؛ وهو: ما كان بين شيئين [٢].

وقال ابن كثير[٣] ؛ أي: من أعدل ما تطعمون أهليكم، وقيل: من أمثل ما تطعمون أهليكم [٤]، أي: أفضل.

وقال الشوكاني [٥]:

" والمراد بالوسط هنا المتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير وليس المراد به الأعلى كما في غير هذا الموضع ؛ أي: أطعموهم من المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه" [٦]

د- آية سورة القلم:

ذكر الطبري قول قتادة: قال أوسطهم ؛ أي: أعدلهم قولا، وكان أسرع القوم فزعا، وأحسنهم رجعة[٧]، وقيل: خيرهم، وأفضلهم، وأعدلهم، وأرجحهم عقلاً [٨].

رابعا: استعمال القرآن الكريم لكلمة: "فوسطن":

قد وردت تلك الكلمة في قول الله ﷻ: ﴿ **فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا** ﴾ [العاديات: ٥].

---

(١)-محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين.رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ . أنظر: الأعلام للزركلي ٥ / ٣٢٢.

(٢)- تفسير القرطبي ٢٧٦/٦ .

(٣)-إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدين ابن الخطيب شهاب الدين وكنيته أبو الفداء، ولد سنة ٧٠٠ هـ ومن مصنفاته التاريخ الكبير والتفسير الكبير . مات في شعبان سنة ٧٧٤ هـ . انظر: طبقات المفسرين للداودي ١ / ٢٦٠

(٤)- تفسير ابن كثير ٩٠/٢.

(٥)-محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء.ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) سنة ١١٧٣ هـ ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها ومات حاكما بها سنة ١٢٥٠ هـ . انظر:الأعلام للزركلي ٦ / ٢٩٨.

(٦)- فتح القدير ٧١/٢.

(٧)- تفسير الطبري ٣٥/٢٩.

(٨)- انظر:تفسير الثعالبي ١٧/١٠، زاد المسير ٣٣٨/٨، تفسير الخازن ١٣٥/٧،البحر المحيط ٣٠٧/٨.

ذكر الطبري أن المعنى: فوسطن بركبانهن جمع القوم يقال: وسطت القوم بالتخفيف، ووسطته بالتشديد، وتوسطته بمعنى واحد [١].

وقال الألوسي[٢]: أي: فتوسطن في ذلك الوقت جمعا من جموع الأعداء[٣].

وقال ابن عاشور: ومعنى (وسَطْن):كُنَّ وسط الجمع، يقال: وسط القومَ، إذا كان بينهم [٤].

ومن خلال أقوال المفسرين يتبين أن كلمة: (فوسطن) من التوسط في المكان . والله أعلم.

ثانيا: آيات ورد فيها معنى: (الوسطية) دون لفظها:

قد ورد في كتاب الله ﷻ آيات عديدة ورد فيها معنى الوسطية دون لفظها، حيث إن الوسطية صفة مدح لهذه الأمة . قال الشوكاني: ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا ؛ أي: هذه الأمة لم تغل غلوّ النصارى في عيسى، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم[٥]. وسوف أذكر بعض الآيات التي تبين معنى الوسطية دون لفظها مما له علاقة بهذا البحث كما يأتي:

١ – قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[الفرقان: ٦٧]

فقد ذكر الطبري ن العمل والحسنة بين السيئتين يعني إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وخير الأعمال أوساطها[٦].

(١)– تفسير الطبري ٢٧٦/٣٠.
(٢)–محمود بن عبد الله الحسيني الالوسى، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، ولده بها سنة ١٢١٧هـ، كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. من كتبه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني كانت وفاته ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ انظر: الأعلام للزركلي ٧ / ١٧٦.
(٣)– روح المعاني ٢١٦/٣٠ .
(٤)– تفسير التحرير والتنوير ١٠٥/٣٠.
(٥)– فتح القدير ١٥٠/١.
(٦)– تفسير الطبري ٣٨/١٩.

فقد وصفهم الله ﷻ بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير(١).

وقال ابن كثير: أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون ؛ فلا يكفونهم بل عدلا خيارا وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا(٢).

٢-في قوله ﷻ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

فقد أمر الله ﷻ بالأكل والشرب هنا لكنه نهى عن الخروج عن حد الاعتدال، والتوسط .

وقد ذكر القرطبي قول ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا، أو مخيلة ؛ فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوعة، وسكن الظمأ فمندوب إليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال ؛ لأنه يضعف الجسد، ويميت النفس، ويضعف عن العبادة. وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر، ولا نصيب من زهد ؛ لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز، والضعف أكثر ثوابا، وأعظم أجرا(٣).

وقال الشوكاني: أمر الله ﷻ عباده بالأكل والشرب ونهاهم عن الإسراف فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب وتاركه بالمرة قاتل لنفسه(٤).

ونلحظ في قول المفسرين معنى (الوسطية) في تفسيرهم لقوله ﷻ: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ ﴾ دون ذكر لفظ (وسط) .

٣- قوله ﷻ: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

(١)- التفسير الكبير ٢٤/٩٥.
(٢)- تفسير ابن كثير ٣/٣٢٦.
(٣)- تفسير القرطبي ٧/١٩١.
(٤)- فتح القدير ٢/٢٠٠.

فإن معنى الوسطية هنا – هو: أن لا تهمل الآخرة انشغالا بالدنيا، ولكن ينبغي التوازن والاعتدال والمعنى – والله أعلم- لا تنس أن تعمل لآخرتك ؛ لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا- هو الذي يعمل به لآخرته، فلا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه غير مضيق علي نفسك، ومن غير إسراف ولا مخيلة توجب ترك الاتصاف بالإنصاف[1].

ويؤكد هذا قول الله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

ومعنى الوسطية في الآية الكريمة اعتدالهم في طلبهم، فهم لم يطلبوا الآخرة فقط، وإنما طلبوا الدنيا والآخرة، وتلك قمة الاعتدال في الطلب .

ولهذا مدحهم الله ﷻ لاعتدالهم في طلبهم ؛ فقد جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر ؛ فان الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي فتلك هي حسنة الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضى تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام[2].

٤- في قول الله ﷻ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ -7] .

إن المتأمل يدرك الصلة بين الصراط المستقيم، وبين الوسطية، ولذا لابد من بيان معنى الصراط المستقيم حتى نصل لمفهوم الوسطية ؛ لأنَّنا بدون فهْم معنى (الصّراط المستقيم)، وتحديد مدلوله، لا نستطيع فهم (الوسطيَّة) على معناها الصّحيح، والصراط المستقيم قد ورد في أكثر من موضع [3]. وسأبين بحول الله وقوته معناه بما يوصلنا إلى مفهوم الوسطية مسترشدا في ذلك بأقوال أهل التفسير.

(١)- ينظر: فتح القدير ١٨٦/٤، نظم الدرر ٥١٨/٥. تفسير التحرير والتنوير ١٧٩/٢٠بتصرف.

(٢)- تفسير ابن كثير ١/ ٢٤٤، ٢٤٥ بتصرف.

(٣)- انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم د ناصر العمر ص ٥١ وما بعدها.

فقد ذكر الطبري أن الأمة من أهل التأويل أجمعت على أن: الصراط المستقيم – هو: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب، ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل وُصِف باستقامة أو اعوجاج فتصف المستقيم باستقامته والمعوج باعوجاجه ؛

والمعنى: وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووَفّقْتَ له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل[1].

وذكر الرازي: أن العلماء بيّنوا أن في كل خلق من الأخلاق طرفي تفريط وإفراط وهما مذمومان والحق هو الوسط ويتأكد ذلك بقوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وذلك الوسط – هو: العدل والصواب فالمؤمن بعد أن عرف الله ﷻ بالدليل صار مؤمنا مهتديا أما بعد حصول هذه الحالة فلا بد من معرفة العدل الذي – هو: الخط المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في الأعمال الشهوانية وفي الأعمال الغضبية، وفي كيفية إنفاق المال فالمؤمن يطلب من الله ﷻ أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل الأخلاق وفي كل الأعمال[2].

وقال أبو السعود [3]: والمستقيم: المستوى، والمراد به طريق الحق ؛ وهي الملة الحنفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط[4].

وقال ابن عاشور: والصراط في هذه الآية مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله ﷻ لأن ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه. والمستقيم الذي لا عوج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً وهو الجادة لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره فلا يضل فيه سالكه ولا يتردد ولا يتحير. والمستقيم هنا مستعار للحق البين الذي لا تخلطه شبهة باطل فهو كالطريق الذي لا تتخلله بُنَيَّات...ثم قال: والأظهر عندي أن

(١)- تفسير الطبري ١/٧٣ – ٧٤. بتصرف.
(٢)- التفسير الكبير ١/ ٢٠٥، ٢٠٦.
(٣)-أبو السعود العمادي أبوه الشيخ محمد بن مصطفى العماد، ولد أبو السعود فيسنة ٨٩٦ هـ صنف (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم) في التفسير وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى سنة ٩٨٢ هـ انظر:طبقاتالمفسرين للداودي ١/٣٩٨،٣٩٩.
(٤)- تفسير أبي السعود ١/١٨.

المراد بالصراط المستقيم المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل بأن يوفقهم إلى الحق والتمييز بينه وبين الضلال على مقادير استعداد النفوس وسعة مجال العقول النيرة والأفعال الصالحة بحيث لا يعتريهم زيغ وشبهات في دينهم(١).

ومن هنا نعلم أن الله ﷻ علّم عباده أن يدعوه بهذا الدعاء سبع عشرة مرة على الأقل، وهي عدد ركعات الصلوات المفروضة، ليحذروا الانحراف عن الطريق المستقيم، وهو المنهج الوسط دون غلو أو تفريط، وليتّبعوا المنهج القويم الذي سار عليه، واتّبعه كل من رضي الله عنهم، وليوقنوا بأن هذا هو دين الله الحق المبين، حيث نجد الحق ﷻ قد عرّف هذا الطريق المستقيم تعريفا جليا ؛ حيث بيّن أنه طريق الخيار لمن أن أنعم الله ﷻ عليهم، وهو بين طريقي: المغضوب عليهم، والضالين ؛ فهو: صراط من أنعم الله ﷻ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهو: غير صراط المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم، وغير صراط الضالين الذين تركوا الحق على جهل وضلال كالنصارى ونحوهم(٢).

سادسا: الوسطية في السنة النبوية:

قد وردت مادة: (وسط) في الحديث النبوي الشريف بكثرة ولم يختلف المعنى في الحديث الشريف عن معنى الكلمة في القرآن الكريم أو المعنى اللغوي ؛ حيث إن السنة شارحة للقرآن، ومبيّنة له، ثم إن معنى الوسطية قد ورد أيضا في أحاديث أخرى دون ورود لفظ الوسطية.

وسأذكر بعض الأحاديث التي لها علاقة بموضوع البحث، ويمكن تقسيم ما ورد في الأحاديث النبوية عن الوسطية إلى قسمين:

أ: أحاديث وردت فيها مادة (وسط):

١-عن عبد اللَّهِ بن مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ من غَاضِرَةِ قَيْسٍ قال: قال النبي ﷺ ثَلَاثٌ من فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ من عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ

(١)- تفسير التحرير والتنوير ١/ ١٩٠، ١٩١.
(٢)- تفسير السعدي ١/٣٩ بتصرف.

طَيِّبَةً بها نَفْسُهُ رَافِدَةً عليه كُلَّ عَامٍ ولا يُعْطِي الْهَرِمَةَ ولا الدَّرِنَةَ ولا الْمَرِيضَةَ ولا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ وَلَكِنْ من وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ ؛ فإن اللَّهَ لم يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ ولم يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ [1].والوسط هنا – هو: ما بين الشيئين ؛ الجيد من الغنم، و السيئ والمعيب منها.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ؛ فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس ؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة[2].

قال ابن حجر: قوله أوسط الجنة، وأعلى الجنة المراد بالأوسط هنا: الأعدل، والأفضل. كقوله ﷻ: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) [3].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه . [4].

والوسط: أعدل المواضع ؛ فكان أحق بنزول البركة فيه[5]. فتلك بعض الأحاديث التي ورد فيها مادة: (وسط) دلالة على استعمال الوسطية في السنة النبوية مع ورود لفظها، وهناك أحاديث أخرى ورد فيها معنى الوسطية دون ورود لفظها وسأذكر بعضا من تلك الأحاديث.

ب: أحاديث ورد فيها معنى: (الوسطية) دون لفظها:

(١)-سنن أبي داود باب الزكاة (١٥٨٢)،ج ٢/ ص /٥٨١، والبيهقي ٩٥/٤، والطبراني في معجمه الصغير ٣٣٤/١، وصححه الألباني في صحيح أبي داوود(١٤٠٠)، وفي السلسة الصحيحة ٧٣/٣ برقم ١٠٤٦.

(٢)- صحيح البخاري بَاب: دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه، برقم ٢٦٣٧، جِ ١٠٢٨/٣.

(٣)- فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٦.

(٤)- أخرجه الترمذي برقم ١٨٠٥.ج ٢٦٠/٤. وأحمد برقم ٢٤٣٩ وأبو داوود ٣٧٧٢ وغيرهم والحديث صححه الترمذي والحاكم في المستدرك ٤١٦ وقال الألباني: صحيح

(٥)- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٥/ ٤٢٧.

١- عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ألا هلك المتنطعون ثلاث مرار[١]. و التنطع في الكلام: التعمق فيه مأخوذ منه، والمتنطعون- هم: المتعمقون المغالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوقهم تكبرا [٢]. قال النووي: (هلك المتنطعون) أي: المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[٣].

٢- عن جابر بن سمرة قال كنت أصلي مع رسول الله ﷺ، فكانت صلاته قصدا، وخطبته قصدا[٤]. قال النووي: فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا ؛ أي: بين الطول الظاهر، والتخفيف الماحق ؛ أي: معتدلة والخطبة قصْدٌ بالنسبة إلى وضعها[٥].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لن ينجي أحدا منكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة . سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا[٦].

قال الحافظ ابن حجر: والقصدَ القصدَ بالنصب على الإغراء ؛ أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل[٧].

وقال ابن حجر أيضا: ووقفت على سبب لهذا الحديث، فأخرج بن ماجة من حديث جابر قال:

مر رسول الله ﷺ برجل يصلي على صخرة فأتى ناحية فمكث، ثم انصرف فوجده على حاله، فقام فجمع يديه، ثم قال: أيها الناس! عليكم القصد عليكم القصد[٨].

٤- عن أَنَسُ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: إن هذا الدِّينَ مَتِينٌ ؛ فَأَوْغِلُوا فيه بِرِفْقٍ[١].

---

(١)- أخرجه أحمد في مسنده ٣٨٦/١، ومسلم في الصحيح باب هلك المتنطعون وأبو داوود في السنن برقم ٤٦١٠ والحديث صحيح .
(٢)- لسان العرب ٨/ ٣٥٧.
(٣)- شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٠/١٦.
(٤)- صحيح مسلم . باب: تخفيف الصلاة والخطبة . ٥٩١/٢.
(٥)- شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٣/٦، ١٥٩.
(٦)- صحيح البخاري ٢٣٧٣/٥.
(٧)- فتح الباري ابن حجر ٢٩٨/١١.
(٨)-فتح الباري ابن حجر ٢٩٨/١١.

أي: من غير تكلف ولا تحملوا على أنفسكم ما لا تطيقونه فتعجزوا وتتركوا العمل[٢].

وقد جعل مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله الغلو في أعمال البر سيئة، والتقصير سيئة فقال الحسنة بين سيئتين [٣].

فتلك الأحاديث وغيرها تؤكد على وجوب الالتزام بالاعتدال والتوسط الخالي من الإفراط، والتفريط، أو من الغلو والتقصير، فالوسطية تعني: الاعتدال والتوازن، لأن مما يهلك الأمم وقوعها في أحد طريقين:

١- طريق الغلو . وهو: التشدد، والتنطع، والتعسير على عباد الله ﷻ، وإيقاعهم في الحرج والشدة، وفيه تنفير لعباد الله ﷻ من عبادة ربهم .

٢- طريق الانحلال وهو أشد خطرا وسوءا لما يدعوا إلى: التسيب، والانحلال، والانفراط في تضييع الأوامر، والنواهي، واستحلال المحرمات، والتفريط في الواجبات، وعدم الوقوف عند حدود الله ﷻ. والخير كل الخير في المنهج الوسط الذي يتجنب: الإفراط، و التفريط، أو الغلو والتقصير، وهو ما دعا إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية، وحث عليه أئمة الإسلام الراسخون في العلم، ولذا ؛ فهو: حبل النجاة، وسفينة الإنقاذ للأمة لما تعانيه من مآسٍ، ومشكلات. [٤].

الفرع الثالث: مفهوم الوسطية في الاصطلاح:

لقد تكلم الكثير من العلماء عن مفهوم الوسطية بما اتضح عندهم بعد بيانهم معنى: الوسطية في اللغة، ومعناها من خلال ورودها في القرآن الكريم، والسنة النبوية.

---

(١)- مسند أحمد بن حنبل ٣/١٣٠٦٤، ٢٠/ ٤٢٦، والمناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٧٢٤، وقال: (ورجال أحمد رجال الصحيح)، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته ١/ ٤٠١ .

(٢)- فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٢/٥٤٤.

(٣)- التمهيد لابن عبد البر ١/ ١٩٥.

(٤)- انظر: كلمات في الوسطية ومعالمها. د يوسف القرضاوي. مقدمة الطبعة الثانية . ص٩ بتصرف.

وقبل أن أبين مفهومها لدى العلماء أشير إلى أن بعض الناس يخطئون في فهمهم لمعنى الوسطية، وقد ضل الكثير منهم في مفهوم الوسطية، والضالّون في فَهْم الوسطية على قسمين:

أ- يعتقد أن الوسطية تعني: التنازل، أو التساهل، أو التخلّي عن بعض ثوابت الإسلام، ومقتضياته إرضاء للطرف الآخر، وهذا خطأ شنيع في فهم الوسطية.

وجهْل هؤلاء بحقيقة مفهوم الوسطية كان – هو: السبب في فهمهم الخاطئ هذا.

ب- يعتقد أن التشدد، والتعنت، والغلو، والتطرف هو الأصل في هذا الدين، ويعيبون على من يتكلم عن الوسطية، ويرون أنه بذلك يتنازل عن أصول دينه، وينظرون إليه نظرة الخائن لدينه . وهذا فَهْمٌ خاطئ أيضا، وجهْلٌ منهم بحقيقة مفهوم الوسطية، وهُم بذلك قد ضلوا سواء السبيل [1]

وقبل أن أبين حقيقة مفهوم الوسطية في الاصطلاح أبيّن ما يأتي:

أولا: العلاقة بين: الصراط المستقيم، والوسطية[2].

إن الله ﷻ قد ربَط بين هدايته ﷻ من يشاء إلى صراط مستقيم، وبين جعله أمة محمد ﷺ وسَطا. وذلك الربط يؤكد العلاقة بين الوسطية، والاستقامة .

قال الله ﷻ: ﴿ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[البقرة: ١٤٢ – ١٤٣]

ذكر بعض المفسرين أن الكاف في: (وكذلك) للربط بين جعل هذه الأمة أمة وسطا، وهدايتهم للصراط المستقيم .

قال صاحب البحر المحيط: أنه شبه جعلهم أمة وسطاً بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، أي: أنعمنا عليكم بجعلكم أمة وسطاً، مثل ما سبق إنعامنا عليكم بالهداية إلى الصراط المستقيم[3]. والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة، وأصل التقدير: جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل ؛ أي: ذلك الجعل البديع جعلناكم (أمة وسطا) لا جعْلا آخر أدنى منه[4].

(١)- انظر: الوسطية في ضوء القرآن د ناصر العمر ص٣ بتصرف وترتيب آخر.
(٢)- انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم د ناصر العمر ص ٥٦ وما بعدها.
(٣)- تفسير البحر المحيط ٥٩٥/١.
(٤)- تفسير أبي السعود ١٧٢/١.

وقال ابن عاشور:"فالآية السابقة لمّا أشارت إلى أن الذين هُدُوا إلى صراط مستقيم- هم المسلمون، وأن ذلك فضل لهم ناسب أن يستطرد لذكر فضيلة أخرى لهم – هي خير مما تقدم ؛ وهي فضيلة كون المسلمين عُدولاً خياراً"[(١)]. وفي هذا تأكيد على الصلة بين: الصراط المستقيم، والوسطية من حيث: إن الصراط المستقيم – هو: الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، وجعْل تلك الأمة وسطا معناه: أنها- هي الأمة المهدية إلى الصراط المستقيم بخلاف الأمم التي سلكت تلك الطرق المنحرفة الزائغة عن الحق[(٢)].

وهذا يؤكّد العلاقة بين: الوسطية، والاستقامة وتبين لنا هذا من خلال الربط بين هداية الله ﷻ من يشاء إلى صراط مستقيم . فالوسطية معناها: أن لا يغلو الإنسان في دينه، فيتجاوز ما حدّ الله ﷻ، ولا يقصّر فيه ؛ فينقص مما حدّ الله ﷻ[(٣)].

ورسول الله ﷺ قد بيّن في أحاديث كثيرة: المفهوم الحقيقي للوسطية. ومن ذلك:

ما رواه البخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلمّا أخبروا كأنهم تقالّوها؛فقالوا:وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا،وقال آخر: أنا أصوم الدهر،ولا أفطر وقال آخر:أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا؛فجاء رسول الله ﷺ فقال:أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله إني لأخشاكم لله،وأتقاكم له،لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني [(٤)].

وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة بعيدة عن التشدد، والتنطع، فهو ﷺ يفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة، وإعفاف النفس، وتكثير النسل [(٥)]. وهذا يبين مفهوم الوسطية عندما تقترن بالاستقامة.

---

(١)- تفسير التحرير والتنوير ١٤/٢.

(٢)- انظر: الخصائص العامة للإسلام د يوسف القرضاوي ص ١٣٢ .

(٣)- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/ ٤.

(٤)- أخرجه البخاري برقم ٤٧٧٦ ج ٥ /١٩٤٩ باب الترغيب في النكاح .

(٥)- فتح الباري ١٠٥/٩.

ثانيا:مفهوم الوسطية في اصطلاح العلماء:

قد بيّن الكثير من العلماء مفهوم الوسطية بما استقر عليه المعنى،ووضح عنده،فنجد الغالب منهم يبين أن الوسطية تعني: العدالة، والتوازن، والخيرية،فهي حق بين باطلين،واعتدال بلا غلو، أو تقصير(١).

ويرى البعض:أن وسطية الأمة بمعنى التوفيق بين مطالب الفرد،والجماعة،وأنها وسطية زمانية، ومكانية، ومناخية(٢) . وذهب البعض إلى أن وسطية الأمة تعني: رسم حدود لمنهج الحركة في طريق مستقيم إلى هدف بعيد عن انحرافات شتى تؤدي للضلال (٣).

وذهب د ناصر العمر إلى ضرورة التلازم بين الخيرية، والبينية في تحديد مفهوم الوسطية، ثم ذكر أن الاستقامة من ملامح الوسطية(٤).

ومفهوم الوسطية عند د يوسف القرضاوي أنها: التوسط، أو التعادل بين طرفين متقابلين، أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله، ويحيف عليه ..... ثم ضرب أمثلة على ذلك(٥).

ثالثا: الخلاصة في حقيقة مفهوم الوسطية:

من خلال ما سبق بيانه من استعمال القرآن الكريم والسنة النبوية لكلمة: (وسط) ومشتقاتها، ومن خلال الربط بين الاستقامة، وبين وصف الأمة بالوسطية أخلص إلى مفهوم الوسطية بما يأتي:

الوسطية هي: الالتزام بالاستقامة على منهج الله ﷻ العدل الأقوم، وهو: صراط الله المستقيم، والحق الذي– هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، مع مراعاة حقوق الطرف الآخر في التعامل معه وِفْق ما شَرَعَ الله ﷻ. وهذا مفهوم من الربط بين الوسطية، وصراط الله المستقيم، كما بينت سابقا.

(١)– انظر: الوسطية في الإسلام فريد عبد القادر ٢٩، خصائص التصور الإسلامي سيد قطب ١٤٩، ١٥٠، معالم المنهج الإسلامي د محمد عمارة ٧٧.

(٢)– انظر: منهج التربية الإسلامية ومقوماته محمد قطب ٣٥/١، معالم المنهج الإسلامي د محمد عمارة ٧٧، وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري عمر الأمير ٥٨.

(٣)– انظر: مستقبل الحضارة يوسف كمال ١٢٧.

(٤)– انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم د ناصر العمر ص ٢٩ وما بعدها.

(٥)– انظر: الخصائص العامة للإسلام د يوسف القرضاوي ص ١٢٧ .

قال ابن الجوزي: وأصل ذلك: أن خير الأشياء أوساطها، والغلو والتقصير مذمومان [(١)].

وقد بيّن فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (يرحمه الله) مفهوم الوسطية بضرب بعض الأمثلة قائلا: ثلاثة رجال أمامهم رجل فاسق، قال أحدهم: أنا لا أُسَلّم على هذا الفاسق، وأهْجُره، وأبتعد عنه، ولا أكلمه.

وقال الثاني: أنا أمشي مع هذا الفاسق وأُسَلّم عليه، وأبُشُّ في وجهه، وأدعوه عندي، وأجيب دعوته، وليس عندي إلا كرجل صالح.

وقال الثالث: هذا الفاسق أكْرهُه لفِسْقه، وأُحبّه لإيمانه، ولا أهْجُره إلا حيث يكون الهجْر سببا لإصلاحه، فإن لم يكن الهجر سببا في إصلاحه، بل كان سببا لازدياده في فسْقه ؛ فانا لا أهْجُره.

فنقول: الأول مفْرِطٌ غالٍ– من الغلوّ–. والثاني: مفَرّط مقصّر، والثالث: متوسط[(٢)].

قلت: وفي القرآن الكريم ما يؤكد على التعامل مع المخالف بالوسطية بمفهوم الاعتدال.

قال الله ﷻ: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٧].

وقد ذكر الطبري عن ابن عباس قوله: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان ؛ فيقول له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا، فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة وأدخل المشرك النار ؛ فاطلع المؤمن، فرأى صاحبه في سواء الجحيم، قال تالله إن كدت لتردين[(٣)].

فهذا رجل دخل الجنة، وله قرين مشرك كان يجادله في شأن البعث مكذبا به، وهذا — هو مفهوم الوسطية في تعاملك مع المخالف ؛ فهذا الرجل تعامل مع

(١) – انظر: زاد المسير ١/١٥٤.
(٢) – انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/٤٢.
(٣) – تفسير الطبري ٢٣/ ٥٩.

قرينه المكذب بالبعث، وكانا يتحاوران في تلك القضية، وكان يحاول مع قرينه أن يأخذ بيديه لطريق الهداية إلا أنه أبى ؛ فكان مصيره في سواء الجحيم، وهذا المؤمن كان في الجنة . والله أعلم.

المطلب الثاني: مفهوم: التعامل مع المخالف:

وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: مفهوم: التعامل في اللغة:

التعامل: أصله من عمل، والعمل في اللغة: المهنة والفعل [(١)]. وتعاملا: عامل كل منهما الآخر[(٢)].

قال الراغب: " العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد ؛ فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعمل قلّما ينسب إلى ذلك.....، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة[(٣)].

والعمل لا يقال إلا فيما كان عن فِكْر وروية، ولهذا قرن بالعلم ؛ حتى قال بعض الأدباء: قلب لفظ العمل عن لفظ العلم تنبيها على أنه من مقتضاه[(٤)].

الفرع الثاني: مفهوم التعامل في الاصطلاح:

التعامل: هو كل تعامل بين طرفين يتم سواء أكان تعاملا حسيا، أم كان تعاملا فكريا؛ ولأن التعامل أصله من العمل، والعمل يطلق على كل عمل كان عن قصد وعن إعمال ذهن وفكر، ولذا فالمقصود بالتعامل هنا: هو التعامل مع الناس في دائرة الفكر والنظر والعلم والاعتقاد.

والتعامل بين الناس في تلك الدائرة يتم بأسلوبين:

أ – أسلوب التعامل المباشر: مثل ما نراه في المناظرات، وبعض الحوارات التي تكون بين متحاورين أو بعض المناقشات.

ب– أسلوب التعامل غير المباشر: مثل ما نراه في الردود التي تكون في غير مواجهة،، أو المعاملات الفكرية الأخرى التي تنشأ في الغالب بين أطراف غير

(١) – لسان العرب ١١ /٤٧٥.
(٢) – المعجم الوسيط ٦٢٨/٢.
(٣) – المفردات في غريب القرآن للراغب ١ /٣٤٨.
(٤) – كتاب الكليات الكفوي ٦١٦/١.

محددة، ويكون التركيز على الأفكار والآراء بقطع النظر عن أصحابها. وذلك لأسباب منها:

١- أنهم مجهولون، أو غير محددين.

٢- أو أن المتعامل لا يرغب في الدخول في مواجهة مع أحد [١].

الفرع الثالث: مفهوم المخالف في اللغة:

المخالف: اسم فاعل من: خالف، وأصله: خلف . والخاء واللام والفاء أصول ثلاثة:

أحدها: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه . ومنه قولهم: اختلف الناس في كذا، والناس خلفة ؛ أي: مختلفون ؛ لأن كل واحد منهم ينحّي قول صاحبه ويقيم نفسه مقام الذي نحّاه.

والثاني: خلاف قدام ؛ أي: في الخَلْف.

والثالث:التغير،ومنه قوله ﷺ:والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك[٢].

قال ابن حجر: واتفقوا على أن المراد به: تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام[٣].

ومنه قولهم: خلف فوه: إذا تغير، وأخلف [٤].

و الخلاف: المضادة، وقد خالفه مخالفة، وخلافا وفي المثل: إنما أنت خلاف الضبع الراكب ؛ أي: تخالف خلاف الضبع لأن الضبع إذا رأت الراكب هربَتْ منه، وخالفه إلى الشيء: عصاه إليه أو قصده بعدما نهاه عنه، و تخالَف الأمران و اختلفا: لم يتفقا . وكل ما لم يتساو، فقد تخالف واختلف [٥].

الفرع الرابع: مفهوم المخالف في الاصطلاح:

(١) – فقه التعامل مع المخالف د عبد الله الطريقي ص ١٤ بتصرف.

(٢) – أخرجه البخاري جزء من الحديث رقم (١٧٩٥) باب: فضل الصوم ٢/٦٧٠.

(٣) – فتح الباري ٤/١٠٥.

(٤) – معجم مقاييس اللغة ٢/٢١٠.

(٥) – لسان العرب ٩/٩٠.

المخالف: اسم فاعل من خالف، وهو: يدلّ على الحدث، والذات.والحدث الذي يُحْدِثه – هو: الخلاف. ولذا لا بدّ من تعريف اللفظين، وهما: الخلاف أو الاختلاف، والمخالف.

أ– الخلاف هو: علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبه وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية، وهو الجدل الذي قسم من المنطق إلا أنه خص بالمقاصد الدينية، وقد يُعَرّف بأنه: علم يقتدر به على حفظ أيّ وضع كان بقدر الإمكان [١].

وعند الجرجاني: الخلاف: منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل [٢].

قال الراغب: والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة،

قال الله ﷻ: ﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ [مريم: ٣٧]، وقال ﷻ: ﴿ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢]، وقال ﷻ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨] [٣].

أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم [٤].

ب– الاختلاف: افتعال من الخلاف، وهو تقابل بين رأيين فيما ينبغي انفراد الرأي فيه [٥].

وقيل أيضا: الخلاف أو الاختلاف: تعدّد الآراء والاتجاهات في القضية الواحدة، سواء أكانت هذه الآراء متضادة أم لا، وسواء أدت إلى النزاع أم لا [٦].

---

(١) –كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. مصطفى القسطنطيني ١/٧٢١

(٢) – التعريفات للجرجاني ١/ ١٣٥.

(٣) – المفردات في غريب القرآن ١/ ١٥٦.

(٤) – تفسير ابن كثير ٢/٤٦٦.

(٥) —: التوقيف على مهمات التعاريف محمد عبد الرءوف المناوي ١/ ٤٢.

(٦) – فقه التعامل مع المخالف ص ١٥نقلا عن:أدب الاختلاف في الإسلام د طه جابر العلواني ص ٢٤.

وقد يكون الاختلاف في المذاهب، أو في الأجناس: أما الاختلاف في المذاهب ؛ فهو: ذهاب أحد الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر.

والاختلاف في الأجناس: امتناع أحد الشيئين من أن يسدّ مسَدّ الآخر، ويجوز أن يقع الاختلاف بين فريقين، وكلاهما مبطل كاختلاف اليهود والنصارى في المسيح(١).

مسألة: الفرق بين الخلاف، والاختلاف.

الاختلاف: هو أن يكون الطريق مختلفا، والمقصود واحدا،

والخلاف: أن يكون كلاهما مختلفا .

والاختلاف: ما يستند إلى دليل . والخلاف: ما لا يستند إلى دليل

والاختلاف من آثار الرحمة، والخلاف: من آثار البدعة .

ولو حكم القاضي بالخلاف ورفع لغيره يجوز فسخه، بخلاف الاختلاف فلا يجوز فسخه من غير القاضي، فإن الخلاف هو ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة والإجماع(٢).

وذهب د عبد الله الطريقي (يحفظه الله) إلى أن الفرق بينهما غير ظاهر، إذ هما مصطلحان لمعنى متقارب، وقال: ولذلك فإنني لن أعتبر هذا التفريق في هذا البحث(٣).

قلت: نعم وهذا ما سأسير عليه في هذا البحث بحول الله ﷻ وقوته .

ج- المخالف هو: كل من يختلف عنك في عقيدة، أو رأي، أو سلوك. سواء أكانت هذه المخالفة تقتضي الضدية، كالإيمان والكفر، أو التوحيد والشرك، أو الاتباع، والابتداع، أو الحل والحرمة، أو الصحة والفساد....إلخ . أم كانت لا تقتضي الضدية كالخلاف اللفظي والصوري، واختلاف التنوع(٤).

(١) – الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١ / ٢٨.
(٢) – الكليات. أبو البقاء الكفومي ١/ ٦١، ٦٢.
(٣) – في كتابه فقه التعامل مع المخالف ص ١٦.
(٤) –:فقه التعامل مع المخالف د عبد الله الطريقي ص ١٦، ١٧.

قال ابن عاشور: والمخالفة: المغايرة في الطريق التي يمشي فيها بأن يمشي الواحد في طريق غير الطريق الذي مشى فيه الآخر، فهي تدل على الاتصاف بضد حالك، فإذا ذُكرت في غرض دلّت على الاتصاف بضده[١].

الفرع الخامس: أنواع الخلاف أو الاختلاف، والمخالفين:

الخلاف على نوعين عند كثير من أهل العلم[٢]: ١- اختلاف تنوع .٢-اختلاف تضاد.

أما اختلاف التنوع فهو: عبارة عن الآراء المتعددة التي تصبّ جميعها في مشرب واحد . ولذلك صور عديدة، مثل: تنوع القراءات الصحيحة، وصفة الآذان، والإقامة، واستفتاح الصلاة، وهذا كله حق[٣]. وكالاختلاف الاعتباري، والصوري، واللفظي.

قال ابن تيمية: فأما سائر وجوه الاختلاف،كاختلاف التنوع والاختلاف الاعتباري واللفظي؛ فأمره قريب وهو كثير، أو غالب على الخلاف في المسائل الخبرية[٤].

وما يقع من تناحرٍ بسبب ذلك ؛ فهو أمر محرّم مبناه على الجهل، أو الهوى[٥].

وأما اختلاف التضاد: فهو عبارة عن الآراء أو الأقوال المتنافية المتنافرة، سواء أكان في أصول الدين أم في فروعه[٦]. والله أعلم.

(١) – تفسير التحرير والتنوير ١٨/ ٣١١، ١٤٣/١٢ .
(٢) – رسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٣/ ٣٣٣، النشر في القراءات العشر ابن الجزري١/٤٩.
(٣) – الموافقات للشاطبي ٤/٢١٤.
(٤) – مجموع الفتاوى ابن تيمية ٦/٥٨.
(٥) – انظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية ٦/٥٨.
(٦) – انظر: فقه التعامل مع المخالف د عبد الله الطريقي ص ٢٢.

المبحث الأول:
أهداف التعامل مع المخالف [(١)].

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهداف التعامل مع المخالف المسلم، وغيره.

تمهيد:

إن الدين الإسلامي يسمو بأهدافه ومقاصده عن كل دين ونحلة على وجه الأرض، والمسلم يسعى جاهدا لتحقيق تلك الأهداف في كل تصرفاته، ومن التصرفات: تعامل المسلم الذي يمثل دينه تمثيلا حقيقيا مع مخالفيه ؛ إذ لا بد أن تكون أهداف المسلم منبعثة من أهداف الإسلام[(٢)].

فهو دين هدى وفلاح، جاء لمصلحة الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وفي الحياة الأخرى[(٣)].

ولأن المسلم لا ينبغي أن يتعامل بعيدا عما أمره الله ﷻ، ورسوله ﷺ ؛ لأنه حينئذ يصير متخبطا حائرا، لا يهتدي سبيلا.

فإن في شريعتنا أهدافا للتعامل مع المخالف المسلم، وغيره أذكره فيما يأتي:

١- إبراز سماحة الإسلام،وسموّ تعاليمه في التعامل مع المخالف وإبراز روح التعايش الآمن لبني البشر.

إن ديننا يدعونا إلى إبراز المزايا العظيمة فيه ؛ ليستبين للناس جميعا بعض ما في هذا الدين من سموّ، وحكمة، وسماحة، وصلاحية للتطبيق ؛ ليعظم اعتزاز أتباع هذا الدين بشريعتهم [(٤)].

فإبراز روح التسامح التي تبدو في حسن المعاشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية من البر، والرحمة، والإحسان، وهي الأمور التي

(١) – ما أذكره من أهداف هنا ليس على سبيل الحصر، وإنما أذكر ما وفقت لاستنباكه بما يتناسب مع هذا البحث.

(٢) – فقه التعامل مع المخالف د/ عبدالله الطريقي ص ٢٥.

(٣) – الموافقات للشاطبي ٢/ ٢/٦.

(٤) – انظر: سماحة الإسلام د أحمد الحوفي ص (٤) بتصرف .

تحتاج إليها الحياة اليومية، وهذه الروح لا تكاد توجد في غير المجتمع الإسلامي[1]، وتلك الأمور تؤثر في النفس أيما تأثير.

ولا يعني تسامح الإسلام، وقبوله بوجود أصحاب الأديان الأخرى، والملل المخالفة، إقراره للكفر مطلقا، بل يعني إيقاعه المسئولية الشخصية لكل فرد على اختياره[2].

قال ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

ففي إبراز سماحة الإسلام في التعامل مع المخالف: إعلاء لكلمة الحق ﷻ ؛ حيث إن التعامل مع المخالف إنما ينطلق من أجل إحقاق الحق، وإعلاء رايته.

ومن عقيدة المسلم: أن الله ﷻ قضى –لحكمة يعلمها– بأن يكون الناس مختلفين في عقائدهم، وأهدافهم، وقدراتهم العقلية ؛ فالذي يريد من الناس أن يتفقوا معه في كل شيء مناهض لقضاء الخالق ﷻ . قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾ [هود: ١١٨ -١١٩] . وقال ﷻ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩][3].

قال الطبري: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى إلا من رحم ربك ؛ فآمن بالله ﷻ، وصدق رسله ؛ فإنهم لا يختلفون في توحيد الله ﷻ، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله ﷻ[4]

وقال ابن كثير: يقول ﷻ: (ولو شاء ربك) يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جئتهم به ؛ فآمنوا كلهم، ولكن له حكمة فيما يفعله ﷻ ؛ (أفأنت تكره الناس) ؛ أي: تلزمهم وتلجئهم (حتى يكونوا مؤمنين) ؛ أي: ليس ذلك عليك، ولا إليك [5].

(١) – غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د يوسف القرضاوي ص (٤٨، ٤٩) بتصرف
(٢) – فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د رقية طه العلواني ص (١٦٥) .
(٣) – انظر: سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفي ص ١٦٩، ١٧٠بتصرف .
(٤) – تفسير الطبري ١٤٢/١٢.
(٥) – تفسير ابن كثير ٣٤٣/٢.

ولذا كانت دعوة الإسلام للتسامح في التعامل مع المخالف ؛ حتى يعيش الإنسان في أمن وأمان، ويتطلب الأمر أن أبيّن أمرين لهما علاقة بإبراز تسامح الإسلام في التعامل مع المخالف كما يلي:

أولا: مفهوم التسامح في الإسلام.

إن روح التسامح في الإسلام مبدأ أصيل، ينبثق من مبادئه التي تلغي التعسف، والتسلط على المخالفين، وتمحو آثار الإحنة على طبقة، أو جنس، وتكرّس إفشاء الود، والتراحم بين بني البشر لتنقية جو المجتمع من الشحناء، والتناحر العنصري البغيض(١).

وليس معنى التسامح: التفريط في ثوابت ديننا، أو التنازل عن شيء فيه . وإنما مفهوم التسامح هو: تنفيذ أمر الله ﷻ في تعاملك مع المخالف وفق ما أمر الله من العدل والإنصاف، والتغافل عن الهفوات. باعتبار أن لكل إنسان حق المساواة في الإنسانية من حيث هو إنسان، دون تفريط في ثوابت الإسلام(٢).

ويتضح مفهوم التسامح بصنيع المصطفى ﷺ عمليا، فقد قام ﷺ لجنازة ؛ فقيل له: إنه يهودي ؛ فقال ﷺ: أليست نفسا ؟ .

فعن بن أبي ليلى أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة ؛ فقاما ؛ فقيل لهما: إنها من أهل الأرض فقالا إن رسول الله ﷺ مرّت به جنازة ؛ فقام فقيل: إنه يهودي ؛ فقال ﷺ: أليست نفسا(٣).

فلم يكن ديننا ليحكم بالفناء على من يعيش في داخل المجتمع الإسلامي، وهي تدين بدين آخر غير الإسلام، وإنما يقيم العلاقة بين المسلمين، وبين مواطنيهم من غير المسلمين على أسس وطيدة من التسامح، والعدالة، والبر، والرحمة(٤).

ثانيا: من مظاهر سمو تعاليم الإسلام بالتسامح في التعامل مع المخالف:

(١) – فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية. د/ رقية طه العلواني ص(٩٧) .
(٢) – لم أجد من وضع مفهوما
(٣) – صحيح مسلم ٦٦١/٢ برقم ٩٦١ باب القيام للجنازة .
(٤) – انظر: معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د/ يوسف القرضاوي ص (٥) .

أ – أن الله ﷻ أمر المسلمين بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا ؛ حتى لو كان غير مسلم .

حيث يقول ﷻ: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

فقوله ﷻ: وأوفوا بالعهد – هو عام فيما بين العبد، وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس (١).

أي: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب، والإسلام، وفيما بينكم أيضا ؛ لأن الله ﷻ سائل الذي ينقض العهد عن نقضه إياه ؛ فلا تنقصوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموه أيها الناس (٢).

كما أمَرَ الله ﷻ بإتمام العهد مع من نعاهد؛قال ﷻ:﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤] .

أي: ومن كان له عهد معكم فعهده إلى مدته، وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده ولم يظاهر على المسلمين أحدا ؛ أي: يمالئ عليهم من سواهم ؛ فهذا الذي يوفي له بذمته وعهده إلى مدته ولهذا حرض الله ﷻ على الوفاء بذلك ؛ فقال (إن الله يحب المتقين) ؛ أي: الموفين بعهدهم(٣).

ففيه تعليل لوجوب الامتثال، وتنبيه على أن مراعاة حقوق العهد من باب التقوى، وأن التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وإن كان المعاهد مشركا (٤).

ب– أن النبي ﷺ قد حضّ على التسامح مع المخالف، وحبّبه إلى المسلمين .

ومن ذلك ما رواه أبو داوود في سننه: عن صَفْوَانَ بن سُلَيْمٍ أخبره عن ثلاثين من أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رسول اللَّهِ ﷺ عن آبَائِهِمْ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال: ألا

(١) –: زاد المسير ٣٤/٥.
(٢) –تفسير الطبري ٨٤/١٥ .
(٣) –: تفسير ابن كثير ٣٣٦/٢ .
(٤) – تفسير أبي السعود ٤٢/٤.

من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ، أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أو أَخَذَ منه شيئا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قام أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ في الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ الناس فقال لهم النبي ﷺ دَعُوهُ وَهَرِيقُوا على بَوْلِهِ سَجْلا من مَاءٍ أو ذَنُوبًا من مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ(٢).

ومن فعله ﷺ الدال على ترغيبه ﷺ في التسامح مع المخالف: ما يتجلى في اشتراط قريش عليه ﷺ في صلح الحديبية منها: أن من جاء من محمد إلى قريش لا ترده إلى محمد، ومن جاء إلى محمد بغير إذن وليه رده محمد.

وقبل النبي ﷺ شرطهم الجائر لحكمة رآها ﷺ، وتبرّم بعض الصحابة بالشرط، وما كادوا ينتهون من توقيع المعاهدة حتى جاء أول اختبار للوفاء بالعهد ؛ إذ وصل أبو جندل بن سهيل فارّا من أذى قومه، وألحّ أبو جندل على الرسول ﷺ في أن يضمه إليه، لكن الرسول ﷺ سلّمه لقريش وفاء بعهده ﷺ(٣).

ولمّا هزم الله ﷻ المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون استشار النبي ﷺ أبا بكر، وعمر، وعليا ؛ فقال أبو بكر يا نبي الله: هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان. وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول اللهﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل ؛ فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ؛ فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخَذ منهم الفداء (٤).

٢– تعزيز روابط التفاهم، والتعايش، والتعارف بين بني الإنسان، وتخليص النفس من سموم الثقافة العدوانية تجاه المخالف.

(١) – سنن أبي داود ٣/ ١٧٠ برقم ٣٠٥٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠٥/٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٦٥٥، والسلسلة الصحيحة برقم ٤٤٥، والحديث صحيح.
(٢) – صحيح البخاري ٨٩/١ .
(٣) – السيرة النبوية لابن هشام ٤٣/٥.
(٤) – انظر: زاد المسير ابن الجوزي ٣٧٩/٣..

إن الحق ﷻ قد جعل التعارف أساسا من أسس رسالة الإسلام الكبرى، وغاية من غاياته العظمى؛ فالتعارف بين بني البشر ؛ أي: عرف بعضهم بعضا(١)، والتعايش بينهم غاية من خلق الناس شعوبا وقبائل ؛ أي: أن التنوع، والاختلاف من سنن الله ﷻ في هذا الكون .

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال الطبري: وقوله ﷻ: لتعارفوا ؛ أي: ليعرف بعضكم بعضا في النسب ؛ أي: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه، وبعده لا لفضيلة لكم في ذلك وقربة تقربكم إلى الله ﷻ، بل أكرمكم عند الله أتقاكم عند ربكم، وهو أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة(٢). فالله ﷻ جعل الناس شعوبا وقبائل، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنه لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر، والتعاون والتوارث، ولكن الله ﷻ جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل هذه الأمور، وغيرها مما يتوقف على التعارف(٣).

والعيش المشترك في الوطن الواحد، يعني قبول الطرفين بفكرة اتساع الدنيا للجميع، وضرورة التعاون على استثمار خيراتها، وإعمارها، فهذه غاية جامعة للناس أجمعين دون تمييز بينهم بسبب الدين، أو المذهب أو الطائفة داخل الدين (٤).

وقد عالج الحق ﷻ النفس البشرية مما يعتريها من سموم تجاه الآخرين دائما وذلك بأن بيّن أن من سنة الله في الكون الاختلاف، والتنوع، ولو شاء الله أن يهدي الناس جميعا لهداهم، ولكن لحكمة أرادها ﷻ: قال ﷻ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [النحل: ٩] .

(١) – انظر: المفردات في غريب القرآن ١/ ٣٣١.
(٢) – انظر: تفسير الطبري ٢٦/ ١٤٠ بتصرف يسير .
(٣) – انظر: تفسير السعدي ١ /٨٠٢.
(٤) – انظر: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د / رقية العلواني ص ١٧٠.

أي: ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء [(١)]. فالثقافة التي لا ترى إلا ذاتها، وتلغي ما عداها – هي المقدمة النظرية لسلوك عدواني تجاه الآخر المختلف مطلقا أيا كانت درجات ذلك الاختلاف ؛ وبذلك تصبح تلك الذات لا ترى إلا قناعاتها، ومن ثم تعمل على التخلص من كل ما يخالف تلك القناعات، وتلغيه [(٢)].

ولن تتخلص النفس من سمومها العدوانية تجاه المخالف له إلا بالفهم الصحيح لكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، والاعتقاد الصحيح بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان للإنسان لأن الله ﷻ قد كرّم بني آدم . قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

يخبر الله ﷻ عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها [(٣)]. كما ينبغي على المسلم الإيمان بأن الله ﷻ قد أمر بالعدل لجميع الناس – المتفق معي، والمخالف لي –، وأنه لا ينبغي إهمال هذا الأمر . قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

قال الطبري: يعني بذلك ﷻ: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي واعملوا فيه بأمري[(٤)].

وقال القرطبي: ودلت الآية أيضا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه[(٥)].

(١) – انظر: تفسير البيضاوي ٣٨٨/٣.
(٢) – انظر: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د / رقية العلواني ص ١٧١.
(٣) – تفسير ابن كثير ٥٢/٣.
(٤) – تفسير الطبري ٦ /١٤١.
(٥) – تفسير القرطبي ١١٠/٦.

فقوله ﷻ: (ولا يجرمنكم) ؛ أي: لا يحملنكم (شنآن قوم) ؛ أي: شدة بغضكم لهم (على ألا تعدلوا) ؛ فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل، أو فتعتلوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثله، وقذف، وقتل نساء وصبية، ونقض عهد تشفيا وغير ذلك[١]. فلا يفعل هذا إلا من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم، فاشهدوا له، فلو كان كافرا أو مبتدعا ؛ فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق [٢].

وكلمة: (شنآن) من المصادر الدالّة على الاضطراب والتقلّب؛لأنّ الشنآن فيه اضطراب النفس؛ فهو مثل الغَليان والنزَوان[٣]. فاختيار (شنآن) للدلالة على أن الذي يحمل النفس على العداوة تجاه المخالف إنما هو اضطراب، وتقلب في النفس، والمؤمن لا يحكم على غيره، ولا يتعامل مع مخالفه بناء على هوى، واضطراب، وتقلب في النفس . فوجود المخالف ضرورة لاكتشاف الذات، وتخليصها من عيوبها، وخفاياها التي غالبا ما تنكشف عند احتكاكها بالآخر المخالف[٤] والله أعلم.

٣- إبراز القيم الأخلاقية التي عني بها الإسلام، والتعامل مع الغير بما أوجبه لهم الإسلام.

إن التركيز على القيم الأخلاقية التي عني بها الإسلام، وجعلها من شعب الإيمان، وجعلها من ثمرات العبادات التي فرضها الله ﷻ من أهم ما ينبغي على المسلم إبرازه. عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ[٥]. فلا يجوز في نظر الإسلام العناية بالعبادات، والشعائر، وإهمال جانب الأخلاق، والفضائل ؛ لأن الفضائل الأخلاقية من شعب الإيمان الحق، وثمرة للعبادة الصحيحة، فقد جعل النبي ﷺ الحياء من شعب الإيمان . عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الْإِيمَانِ[٦].

(١) –: تفسير أبي السعود ٣ /١٢ بتصرف.
(٢) – تفسير السعدي ١/٢٢٤ بتصرف.
(٣) – تفسير التحرير والتنوير ٦/ ٨٦ بتصرف.
(٤) – انظر: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د / رقية العلواني ص ١٧١بتصرف .
(٥) – رواه أحمد في مسنده ٢/ ٨٩٣٨ .
(٦) – رواه البخاري ١/١٢ برقم (٩) .

فالحياء في الشرع: خُلُق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق(١).

فإبراز أخلاق ا؟لإسلام في التعامل مع المخالف – هو إعلاء لكلمة الله ﷻ ليرى العالم أجمع كيف أن ديننا يسمح بالتعايش الآمن للجميع، ويترك الإنسان حرّا في اختيار دينه، وعقيدته، وسيحاسب الله ﷻ كل إنسان على اختياره؛ حيث لا يجبر الإسلام أحدا على ترك دينه إلى غيره، ولا يضغط عليه أي ضغط ليتحول منه إلى الإسلام (٢).

وأساس هذا الحق قوله ﷻ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[البقرة: ٢٥٦] .

قال ابن كثير: أي لا تكر هوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فانه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه (٣) فالدين الإسلامي قد عني أيما اعتناء بأخلاق المسلم في تعامله مع المخالف كتعامله مع المتفق معه؛ فينبغي إبراز ذلك بالتعامل مع الغير بما أوجبه الله ﷻ لهم. والله أعلم.

٤– إزالة الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين في نظر الذين لا يعرفون الإسلام.

إن ثمة صور ومفاهيم مشوّهة بدت ظاهرة يروّج لها بعض من لا يفهم الإسلام الحق، وهي مغايرة للواقع، وما يحث عليه هذا الدين الحنيف ؛ فالصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين باتت صورة شبه نمطية، والواجب على كل مسلم أن يبرز أخلاق الإسلام في تعامله مع الجميع وبالأخص مع المخالف ؛ فلا سبيل للخلاص من تلك الصورة إلا بالتغيير السلوكي الإيجابي الفعال من قبل المسلمين ؛ لأن الله ﷻ يبين أن المؤمن جعل الله له نورا يمشي به في الناس.

قال ﷻ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا ﴾[الأنعام: ١٢٢] .

(١) – فتح الباري ١/ ٥٢ .
(٢) – انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د/ يوسف القرضاوي ص ١٨.
(٣) –: تفسير ابن كثير ٣١١/١ بتصرف.

أي: أحياه الله ﷻ بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصرا في أموره، مهتديا لسبيله، عارفا للخير، مؤثرا له، مجتهدا في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفا بالشر، مبغضا له، مجتهدا في تركه، وإزالته عن نفسه وعن غيره [(١)].

فالمؤمن مطالب بأن يزيل الشر الذي قد يحيق به، وأن يؤثر في الغير بسلوكه العملي . فهو يهتدي، ويعرف كيف يسلك وكيف يتصرف بهذا النور، وهو القرآن[(٢)]. فالله ﷻ جعل المؤمن نورا يمشي به في الناس ؛ أي: يصحبه كيف تقلب .

وقال: في الناس إشارة إلى تنويره على نفسه، وعلى غيره من الناس ؛ فذكر أن منفعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه[(٣)].

فقوله ﷻ: (في الناس) بحرف الظرفية (في) يدل على عمق تأثير المؤمنين فيمن حولهم، وغزْو قلوبهم وتجاوزهم بهدى الله ﷻ أسماع الناس، وظواهرهم إلى بواطنهم، وأعماق أفئدتهم.

وهنا تبرز أهمية دور كل مسلم بشكل خاص في تبيين الحقائق، وتوضيح المفاهيم الخطأ، وكشف الحجب الكثيفة، والتراكمات البغيضة التي كرّست صورا أبعد ما تكون عن سماحة الإسلام [(٤)].

ولن يكون هذا إلا بإبراز سماحة الإسلام، وسموّ تعاليمه في التعامل مع المخالف بسلوك عملي راق وفق منهج القرآن الكريم، والسنة النبوية يبرز وجه الإسلام الحق الذي أرسل به محمدا ﷺ ؛ حتى يدرك العالم سماحة، وسمو تعاليم الإسلام من خلال أخلاق أهله عند تعاملهم مع المخالف. والله أعلم

٥– تربية النفس على تقبل الآخرين، واحترامهم، والتخلص من التكبّر الفكري.

(١) –: تفسير السعدي ١/٢٧٢ .
(٢) – تفسير ابن كثير ٢ /١٧٣.
(٣) – تفسير البحر المحيط ٤/ ٢١٦.
(٤) – فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د / رقية العلواني ص ١٧٨.

إن الله ﷻ خلق في الإنسان نفسا، وأودع فيها هوى، وأمر الله ﷻ الإنسان بمجاهدة نفسه أن لا تتبع الهوى مبينا أن في اتباع الهوى سبيل الضلال ؛ لأن صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضي الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضي إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه [(١)]. فالهوى ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك: لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية[(٢)].

وقيل: الهوى ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع [(٣)]. ويعرفه البعض بقوله: كل ما خالف الحق وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد[(٤)].

ولذا فإن المؤمن عليه أن يتجرّد من هواه في تعامله مع المخالف، وأن ينفّذ أمر الله ﷻ فيه بتحكيم شرع الله ﷻ فيه وإلا فإن اتبع هواه فقد ضل وأضل. قال الله ﷻ: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] .

قال ابن عاشور: ووجه كونه لا أضل منه: أن الضلال في الأصل خطأ الطريق، وأنه يقع في أحوال متفاوتة في عواقب المشقة أو الخطر أو الهلاك بالكلية، على حسب تفاوت شدة الضلال . واتباع الهوى مع إلغاء إعمال النظر ومراجعته في النجاة يلقي بصاحبه إلى كثير من أحوال الضرّ بدون تحديد ولا انحصار ؛ فلا جرم يكون هذا الاتباع المفارق لجنس الهدى أشد الضلال ؛ فصاحبه أشد الضالين ضلالاً[(٥)].فمرد النيل من المخالفين اتباع الهوى الإنساني ؛ فالهوى من النوازع الخفية

(١) – انظر: فقه الرد على المخالف . خالد السبت ٢٦٩ نقلا عن: شيخ الإسلام ابن تيمية. منهاج السنة ٥/٢٥٦.

(٢) – انظر: المفردات في غريب القرآن ١/ ٥٤٨.

(٣) – انظر: التعريفات للجرجاني ١/ ١٥٨٦.

(٤) – انظر: فقه التعامل مع المخالف د/عبد الله الطريقي ٣٧ نقلا عن:الهوى وأثره في الخلاف للشيخ عبد الله الغنيمان ٢٣.

(٥) – انظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٠/ ١٤١.

التي تتسلل إلى قلب المرء تدريجيا حتى تسيطر عليه من حيث لا يشعر[1]. ولذا قال الله ﷻ مخاطبا نبيه داوود عليه السلام: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[ص: ٢٦].

أي: ولا تتبع الهوى ؛ فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه ؛ فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله[2].

أي: ولا تتبع الهوى ؛ فتميل مع أحد، لقرابة، أو صداقة، أو محبة، أو بغض للآخر؛(فيضلك) الهوى عن سبيل الله، ويخرجك عن الصراط المستقيم[3].

واتباع الهوى يقودك إلى التكبر الفكري، وهو عدم قبول الطرف الآخر واعتقادك أنه لا يوجد في الكون غيرك ؛ فترى أنك أنت الوحيد صاحب الحق .

وها هو رسول الله ﷺ يعلّمك تربية النفس في قبول الطرف الآخر، ويطبّق ذلك عمليا.

قال ابن إسحاق وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر ؛ فحانت

صلاتهم ؛ فقاموا يصلون في مسجده ؛ فأراد الناس منعهم ؛ فقال رسول الله ﷺدعوهم ؛ فاستقبلوا المشرق ؛ فصلوا صلاتهم[4]. فالنفس تحتاج لتربية حتى تقبل الطرف الآخر ؛ لأنها لا ترى إلا ذاتها ؛ فلا بد أن تقنع نفسك بأنك لست وحدك في تلك الدنيا.

ومن أقوى الأدلة على التعامل مع المخالف غير المسلم ما رواه البخاري عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: تُوُفِّيَ رسول اللَّهِ ﷺ، وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا من شَعِيرٍ[5].

(١) – انظر: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د / رقية العلواني ص ١٤١.
(٢) – تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٢.
(٣) – تفسير السعدي ٧١٢/١ بتصرف.
(٤) – زاد المعاد في هدي خير العباد . محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ٦٢٩/٣.
(٥) – صحيح البخاري ٣/ ١٠٦٨ برقم ٢٧٥٩باب ما قيل في درع النبي ﷺ .

كما يبين ﷺ أن الكبْر يؤثر في علاقة الإنسان بغيره، فلا يراعي حق الله ﷻ فيمن يتعامل معهم. عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ عن النبي ﷺ قال لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قال: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ [(١)]الْحَقِّ، وَغَمْطُ[(٢)] الناس[(٣)].

٦- استئصال جذور التوجهات التعصبية لحماية المجتمع من مخاطر التعصب التي تمنع من التعايش المقوّض للتعارف الإنساني.

إن المؤمن الحق – هو الذي يفهم أمور دينه فَهْما صحيحا، فيطبقه تطبيقا عمليا، فهو كما أمره الله ﷻ قوام لله بالقسط ولو على نفسه، أو الوالدين وأقرب الناس إليه. قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[النساء: ١٣٥].

أي: ليكن من أخلاقكم، وصفاتكم القيام بالقسط يعني بالعدل (شهداء لله) ؛ أي: قوموا بالقسط لله عند شهادتكم أو حين شهادتكم (ولو على أنفسكم) ؛ أي: ولو كانت شهادتكم على أنفسكم أو على والديكم أو أقاربكم، فقوموا فيها بالقسط والعدل وأقيموها على صحتها بأن تقولوا فيها الحق، ولا تميلوا فيها ؛ فتجوروا[(٤)].

فالمؤمن مأمور بأن يكون عادلا في أقواله، وفي أحكامه، ولكي يكون كذلك، فلا بد أن يخلص نفسه من التعصب لرأي، أو فكر، أو مذهب، ولينفذ أمر الله ﷻ كما أمره .

فالتعصب: من العصبية، و العصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته، والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، والعصبي هو الذي يغضب لعصبته، ويحامي عنهم[(٥)]؛ لأن التعصب يجعل صاحبه لا يعترف بوجود

(١) – أي: دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا . انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٩٠.
(٢) – أي: احتقارهم . انظر: المصدر السابق.
(٣) – صحيح مسلم ٩٣/١ برقم ٩١باب تحريم الكبر وبيانه.
(٤) – تفسير الطبري ٥/ ٣٢٠، ٣٢١.
(٥) – لسان العرب ٦٠٧/١.

الآخرين ؛ بل يحجر على آراء المخالفين له، ويزعم أنه على حقّ فيخرج بآراء وتفسيرات لدين الله ﷻ – هي غاية في العجب، وهذا تعصّب مقيت لأنه يرى نفسه، وينفي كل من عداه[١]. قال رسول الله ﷺ لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان حلفا ما أحبّ أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت[٢].

عن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ قال: لَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ على رسول اللَّهِ ﷺ قل كُفُّوا السِّلاَحَ، وَأَوْفُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ ؛ فإنّ الإِسْلاَمَ لم يَزِدْهُ إِلاَّ شِدَّةً، وَلاَ تُحْدِثُوا حِلْفاً في الإِسْلاَمِ[٣].

وبهذا النهج فإن النبي ﷺ قد استأصل جذور كل التوجهات العصبية ليقيَ المجتمع من مخاطر التعصب، وإزالة الحواجز المانعة من التعايش المقوّضة[٤] للتعارف الإنساني [٥].

فالمتعصب يميل للتضييق، والتشديد، والإسراف في القول بالتحريم بدافع التورع، والاحتياط، إن أحسنا الظن، أو بدوافع أخرى، فهو دائما مع التشديد، والتضييق [٦]؛ ولذا كان منهج الاعتدال – هو المنهج القويم الذي ينبغي على كل مسلم أن ينهجه.

قال ابن تيمية: " ومن سلك طريق الاعتدال عظّم من يستحقّ التعظيم، وأحَبّه، ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظّم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد له حسنات وسيئات؛ فيحمد، ويذم، ويثاب، ويعاقب، ويحب من وجه،

---

(١) – انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د/ يوسف القرضاوي ص٣٩، ٤٠ بتصرف .

(٢) – انظر: السيرة النبوية ابن هشام ١/ ٢٦٦.

(٣) – مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢١٢ برقم ٦٩٩٢، والترمذي برقم ١٥٨٥ وقال حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته برقم٤٣١٨، وصحيح الجامع برقم ٢٥٥٣.

(٤) – قاضَ البِناءَ يَقُوضُه قَوْضاً: هَدَمه، وكلُّ مَهْدومٍ مُقَوَّضٌ. انظر: تاج العروس للزبيدي ١٩ /٣٤ .

(٥) – فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية . د / رقية العلواني ص ١٢٢ بتصرف.

(٦) – انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف. د/ يوسف القرضاوي ص٧٣، ٧٤ بتصرف .

ويبغض من وجه" [1]. فالمتعصب لرأيه صاحب قلب متصلّب، متشدّد، مع أن في القلب المفطور على الرأفة، والسماحة لين ينزعه عن المظالم، والقسوة .

قال ابن عاشور عند قوله ﷻ: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٧]: ومعنى كون العفو أقرب للتقوى: أن العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق ؛ لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى لكنه يؤذن بتصلّب صاحبه وشدّته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته .

والقلب المطبوع على السماحة، والرحمة أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد ؛ لأن التقوى تقرّب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المفطور على الرأفة والسماحة لين ينزعه عن المظالم والقسوة، فتكون التقوى أقرب إليه، لكثرة أسبابها فيه[2].

وها هو رسول الله ﷺ يحذّر من التعصب الأعمى الذي يدلّ على تنطّع صاحبه.

فعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ألا هلك المتنطعون ثلاث مرار[3].

والمتنطعون– هم: المتعمقون المغالون في الكلام المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، الذين يتكلمون تكبرا [4].

(١) – منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٤٣ تحقيق د/ محمد رشاد سالم .

(٢) – تفسير التحرير والتنوير ٢/٤٦٤.

(٣)–مسند أحمد بن حنبل ٣/١٣٠٦٤، ٢٠/ ٤٢٦، والمناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٧٢٤، وقال: (ورجال أحمد رجال الصحيح)، وحسنه الألباني في الجامع الصغير وزيادته ١/٤٠١ .

(٤)–شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٢٢٠، لسان العرب ٨/ ٣٥٧.

المطلب الثاني:
أهداف التعامل مع المخالف المسلم.

قد بيّنت فيما سبق أهداف التعامل مع المخالف المسلم، وغيره، وأذكر ههنا بعضا من أهداف التعامل مع المخالف المسلم كما يلي:

١- التأكيد على وحدة الأمة وتماسكها،وعدم إيجاد الفرقة بسبب الاختلاف في رأي،أو نحوه.

إن الله ﷻ خلق الإنسان، وكرّمه،وجعله خليفة في الأرض، وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين. وشاء الله ﷻ أن يكون الناس منهم المؤمن،ومنهم الكافر، ولكي يحقق الإنسان الخلافة في الأرض فإن عليه أن لا يحدث الفرقة مع إخوانه ؛ حتى لو اختلفوا معه في بعض الجزئيات ؛ لأن الفرقة بين أفراد الأمة ضياع للأمة فينبغي على الجميع العمل بما ورد بالنص والإجماع، وأن يمتنعوا عن الخوض في التفصيل الذي يوقع بينهم الفرقة والاختلاف ؛ فإن الفرقة والاختلاف من أعظم ما نهى الله عنه ورسوله(١).

فإن إزالة أسباب الفرقة بين أبناء الدين الواحد والأمة الواحدة هي الشرط الأول لحمايتها وتوحيد كلمتها ؛ فقد أخبر الحق ﷻ أن الاختلاف والتنازع يُذهب قوة الأمة، وبالتالي فهو يُضْعفها. قال ﷻ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾[الأنفال: ٤٦] .

(ولا تنازعوا فتفشلوا) ؛ أي: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم، وتذهب قوتكم وبأسكم ؛ فتضعفوا ؛ ويدخلكم الوهن، والخلل (٢)؛ لأن التنازع فيما بينكم يترتب عليه اختلاف فيما بينكم ؛ فيكون ذلك سببا لتخاذلكم وفشلكم (وتذهب ريحكم) ؛ أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال(٣). فقد أمر الله ﷻ المؤمنين بالجماعة، ونهاهم

(١)- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٢/ ٢٣٧.
(٢)- تفسير الطبري ١٠/ ١٥.
(٣)- تفسير ابن كثير ٢/٣١٧.

عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلكم بالمراء، والخصومات في دين الله[١].

عن ابن مسعود قال كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول استووا، ولا تختلفوا؛ فتختلف قلوبكم[٢]. ففيه نهي من النبيﷺ عن الاختلاف والتناحر فيما بين المسلمين.

فقد كان التنازع والاختلاف أشد شيء على رسول الله ﷺ، وكان إذا رأى من الصحابة اختلافا يسيرا في فهم النصوص يظهر في وجهه حتى كأنما فُقِئ فيه حبّ الرمان، ويقول: أبهذا أمرتم[٣].

وإن الاختلاف غير المنضبط بشروطه وآدابه وضوابطه ؛ حيث يتشبث أصحاب كل رأي بما هم عليه معتقدين أنهم وحدهم يملكون الحق دون غيرهم لخطر عظيم على وحدة الأمة، واجتماع كلمتها، فهو ينخر في كيانها، ويهدّد وجودها، ويقدّمها لقمة سائغة لأعدائها [٤].

فالفهم الشمولي التكاملي للإسلام كما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ، ورفض كل تجزئة لأحكام الإسلام وتعاليمه، كدعوى الذين يريدونه أخلاقا بلا تعبد، أو تعبدا بلا أخلاق، أو عقيدة بلا شريعة، أو حقا بلا قوة، أو دينا بلا دولة – هو النجاة من الفرقة التي تؤدي إلى الفشل [٥].

فالمجتمع المسلم يتخذ الإسلام منهجا للحياة، ودستورا لحكمه، ومصدرا لتشريعه، وتوجيهه في كل شئون الحياة، وعلاقاتها، ولكن ليبس معنى هذا أن المجتمع المسلم يحكم بالفناء على من يخالفه حتى ولو كان يدين بغير الإسلام [٦] ؛ فما بالك إذا كان المخالف مسلما؟.

وتأمل كيف يؤكد الحق ﷻ على وجوب التأكيد على وحدة تلك الأمة، وعدم إيجاد الفرقة عندما يأمر الله ﷻ أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالعفو والصفح عن من

(١)- تفسير الطبري ٥/ ٣٣٠.
(٢)- رواه مسلم ٣٢٣/١ برقم ٤٣٢ باب: تسوية الصفوف .
(٣)- إعلام الموقعين عن رب العالمين . ابن قيم الجوزية ١/ ٢٥٩.
(٤)-: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية . د / رقية العلواني ص ٨١، ٨٢ بتصرف.
(٥)-كلمات في الوسطية ومعالمها د/ يوسف القرضاوي ص ٤١ بتصرف.
(٦)- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د / القرضاوي ص ٥ بتصرف.

خاض في عرض أم المؤمنين عائشة ﵂ في قوله ﷻ: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

وتعالوا نتأمل ! هل أمْر الله ﷻ بالعفو قصد منه الإنفاق على مسطح؟

الإجابة: لا يمكن أن يكون هذا فقط ؛ لأن الله ﷻ قادر أن يغني مسطحا فلا يحتاج إلى صدقة، ولكن – والله أعلم- هو وحدة الأمة، والترابط، والتودد بين أفراد المجتمع . فالحلف على ترك مواساة واحد منهم سد لباب عظيم من المعروف

في الآية إشعار بأنه قد تعارض عن أبي بكر ﵁ سبب المعروف، وسبب البر في اليمين وتجهم الحنث وأنه أخذ بجانب البر في يمينه، وترك جانب ما يفوته من ثواب الإنفاق ومواساة القرابة وصلة الرحم، وكأنه قدم جانب التأثم على جانب طلب الثواب ؛ فنبّهه الله ﷻ على أنه يأخذ بترجيح جانب المعروف [(١)] .

فينبغي أن لا نحدث الفرقة بسبب اختلاف في رأي أو غيره، وإنما نتحاور بالحوار الهادئ المتصف بالحكمة لنصل جميعا إلى الحق الذي يرضي الله ﷻ . والله أعلم.

٢– تحقيق الأخوّة الإيمانية، والاعتصام بحبل الله بين المسلمين .

إن تحقيق الأخوّة بين المسلمين من الأمور التي ينبغي على المؤمن أن يبذل كل جهد في تحقيقها، وأن لا يجعل الاختلاف في بعض الجزئيات سببا في الفرقة بينه، وبين أخيه المؤمن، وقد حث القرآن الكريم على ذلك . قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:١٠]

هذا عقد، عقده الله ﷻ بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن

(١)–تفسير التحرير والتنوير ١٨/ ١٨٩، ١٩٠.
(٢)– تفسير السعدي ١/ ٨٠٠ بتصرف .

مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة(١).

قال ابن حجر: هذه أخوّة الإسلام ؛ فإن كل اتفاق بين شيئين يطلق بينهما اسم الأخوة ويشترك في ذلك الحر والعبد والبالغ والمميز. قوله لا يظلمه ؛ هو خبر بمعنى الأمر فإن ظلم المسلم للمسلم حرام. وقوله ولا يسلمه ؛ أي: لا يتركه مع من يؤذيه، ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه وهذا أخص من ترك الظلم(٢).

وقد أمر الله ﷻ المؤمنين بالاعتصام بحبل الله، وعدم التفرّق . قال الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران: ١٠٣] .

قال ابن عباس: تمسّكوا بدين الله، وقال ابن مسعود هو الجماعة، وقال عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة(٣).

أي: ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة وكونوا في دين الله إخوانا ؛ فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابر(٤). بل إن الحق ﷻ بيّن أن تلك الأخوة لا تزول حتى لو وقع من المؤمن جريمة القتل ؛ فذكّر الله ﷻ المؤمن بأخوّة أخيه عندما قال ﷻ: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[البقرة: ١٧٨] .

قال ابن عاشور: وإطلاقُ وصف الأخ على المماثل في دين الإسلام تأسيسُ أصْلٍ جاء به القرآن جعل به التوافق في العقيدة كالتوافق في نسب الأخوة (٥). وذكّره بلفظ الأخوة الثابتة بينهما من الجنسية والإسلام ؛ ليرقّ له، ويعطف عليه(٦). بل إن أواصر الأخوة تبقى بعد الموت،وأنت مطالب بالدعاء لإخوانك الذين سبقوك بالإيمان.قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

(١)- صحيح البخاري ٢ /٨٦٢.
(٢)- فتح الباري ٥ /٩٧.
(٣)- تفسير البغوي ١/٣٣٣.
(٤)- تفسير القرطبي ٤ /١٥٩.
(٥)- تفسير التحرير والتنوير ٢/ ١٤٢.
(٦)- تفسير البيضاوي ١ /٤٥٧.

قرأ عمر بن الخطاب ﷺ تلك الآية الكريمة، ثم قال: لقد استوعبت هذه الآية المسلمين عامة؛ فليس أحد إلا وله فيها حق(١).

والمراد بالأخوة هنا: أخوة الدين أمرهم الله ﷻ أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدّمهم من المهاجرين(٢).

وقد أدرك الصحابة ﷺ أهمية الأخوّة، وضرورتها في تقوية عرى الإيمان ؛ فتمسكوا بتلك الوحدة ؛ فكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة، ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، ولكن الألفة، والعصمة ، وأخوة الدين لا تختلف في قلوبهم (٣). ولقد طبّق الإسلام هذا الإخاء الرفيع، وأقام على أساسه مجتمعا ربانيا إنسانيا فريدا شعاره ما رواه أنس عن النبي ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٤).

قال ابن حجر: وقيل: ومن الإيمان أيضا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولم يذكره ﷺ ؛ لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه فترك التنصيص عليه اكتفاء(٥).

٣- مجاهدة النفس لكبت رغبتها في الانتصار للذات، أو التعصب لرأي، أو مذهب.

إن النفس بطبيعتها ترغب في الانتصار للذات، والتعصب لرأي معين، أو مذهب . وهذا كله ناشئ من الهوى الذي أمرنا الله ﷻ أن ننهى النفس عنه، بل إن الحق ﷻ يعلّمنا مجاهدة النفس لكبت رغبتها في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٢٤ – ٢٥] .

وهذا اللون من الكلام يسمى الكلام المنصِف ؛ وهو أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيظ واحتداد في الجدال، ويسمى في علم المناظرة إرخاءَ العنان

(١)- تفسير ابن كثير ٤ /٣٤١.
(٢)- فتح القدير للشوكاني ٥ /٢٠١.
(٣)- انظر: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة د / رقية العلواني ١٢٩ نقلا عن: فتاوى ابن تيمية ١٧٢/٢٤.
(٤)- صحيح البخاري ١/١٤برقم ١٣.
(٥)- انظر: فتح الباري ١/٥٨.

للمناظِر، ومع ذلك فقرينة إلزامهم الحجة قرينة واضحة[1]. ولأن الغالب الأعم من الناس يرغب في الانتصار لذاته . فقد أسس الحق (ﷻ) قاعدة الإنصاف في كثير من آيات كتاب الله ﷻ كما هو واضح في الآية السابقة، وإن كانت مع المشرك، فعدم الانتصار للذات في تعاملك مع المسلم من باب أولى .

والمعنى: ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ ﴾ لضالون أو مهتدون، وأنت تقول في الكلام للرجل يكذبك، والله إن أحدنا لكاذب وأنت تعيّنه وكذبته تكذيباً غير مكشوف [2] . وهذا كلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو منافي قال لمن خوطب به:(قد أنصفك صاحبك) [3] ويتجلى الإنصاف في قوله ﷻ: ﴿ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ ﴾ وهذا أبلغ في الإنصاف، وأبعد من الجدل والاعتساف ؛ حيث أسند فيه الإجرام، وإن أريد به الزلة وترك الأولى إلى أنفسهم، ومطلق العمل إلى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر [4] .فإن النفس ترغب في النيل ممن خالفها، وترى في هذا إرضاء للذات، وانتصارا لها، وهو من أخطر ما يصيب النفس من أمراض يحتاج كل مؤمن إلى كبت نفسه، ومجاهدتها في ذلك، ولذا كان الإيثار، والعفو عند المقدرة، وكظم الغيظ ؛ ففي هذا كله دليل على وجوب علاج النفس من تلك الأمراض حتى يكون المجتمع آمنا، ويعيش في سلام ؛ لأن التعامل مع المخالف وفق ما أمر الله ﷻ يعالج النفس من رغبتها في الانتصار للذات . ولن يكون هذا إلا بالعدل والإنصاف مع كل من نتعامل معهم من قريب، أو بعيد، وموافق، أو مخالف، دون تمييز بين مسلم، أو غير مسلم، بل ينهى عن جميع صور الجور والظلم مع كل أحد. فمبدأ الظلم محرّم بكل حال ؛ فلا يحل لأحد أن يظلم أحدا، ولو كان كافرا[5] .

(١)- انظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٢/ ١٩٢.
(٢)- انظر: جامع البيان للطبري ٩٥/٢٢
(٣) – انظر: الكشاف للزمخشري ٥٩١/٣ .
(٤) – ينظر: أبو السعود ١٣٣/٧، وينظر أيضاً الكشاف للزمخشري ٥٩١/٣، ٥٩٢ بتصرف.
(٥) – انظر: فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة د/ رقية العلواني ١٤٠ نقلا عن الاستقامة ابن تيمية ٢/ ٢٤٧.

فتلك هي أهداف التعامل مع المخالف، وما كانت إلا لإبراز سماحة هذا الدين، وسعته للتعايش بين بني البشر مهما اختلفت عقائدهم، وتباينت مذاهبهم، وآراؤهم، والله ﷻ يتولى حساب الجميع.

والله أعلم.

المبحث الثاني
أسس التعامل مع المخالف

بعد أن بينت أهداف التعامل مع المخالف، أبيّن أسس التعامل مع المخالف، لكي يكون تعامل المسلم مع مخالفه وفق المنهج الشرعي الذي علّمنا الله ﷻ إياه، وهي مستنبطة من الكتاب والسنة كما يلي:

أولا: الاعتراف بالتنوع، والاختلاف بين بني البشر كحقيقة واقعة، وأن لله ﷻ حكمة في ذلك:

إن الإسلام منهج متكامل للحياة يصيغها بصبغته الربانية، ويوجّهها وجهته الأخلاقية، ويضع لها الإطار والمعالم والحدود التي تضبط سيرها وتربطها بغاياتها ؛ ولذا فإن الإسلام عقائد تقوِّم الكفر، وعبادات تطهر القلب، وأخلاقاَ تزكّي النفس، وتشريعاَ يقيم العدل، وآداباَ تجمّل الحياة [1] .

ولذا فإن المسلم الحق – هو الذي يلتزم بمنهج الله ﷻ كاملاً ؛ فلا ينبغي أن يأخذ بالبعض ويترك البعض الآخر، ومن ذلك ما شرعه الله ﷻ من حسن التعامل لمن يخالفك .

وقد قرّر الحق ﷻ أن اختلاف الناس وتنوعهم حقيقية إنسانية طبيعية، وأنه ﷻ لو شاء أن يهدي الخلق جميعا لهداهم . قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَأْيَئِسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[الرعد: ٣١].

أي: ألم يعلموا أن الله ﷻ لو شاء هدايتهم لهداهم، وأنه لم يشأها وذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الإيمان (٢) .

فالله ﷻ خلق الناس مختلفين ؛ فمنهم المؤمن، والكافر ولكنهم في الأساس أمة واحدة . قال ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ﴾ [يونس: ١٩].

أي:وما كان الناس إلا أهل دين واحد،وملة واحدة، فاختلفوا في دينهم ؛ فافترقت بهم السبل في ذلك(٣)

(١) – انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د: يوسف القرضاوي ص ١٣١
(٢) – تفسير أبي السعود ٢٢/٥.
(٣) – تفسير الطبري ١١ /٩٨.

فإن اختلافاتهم مهما تعددت لا تلغي الوحدة الإنسانية فيما بينهم(١) .

من هنا كان الاختلاف الفكري بين بني الإنسان قديماً قدم الإنسان في هذه الأرض (٢) . بل إن اختلاف الناس وتنوعهم في عقيدتهم دليل على وقوع البعث الذي يَفصل الله ﷻ فيه بين المختلفين ؛ لأنه طالما أن هناك اختلافا في العقيدة ؛ فلابد أن تكون هناك حياة أخرى يرتفع فيها هذا الخلاف والعناد (٣).

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧].

فإنه ﷻ (يفصل بينهم يوم القيامة) أي: يحكم بينهم بالعدل ؛ فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار فإنه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليم بسرائرهم وما تكنّ ضمائرهم(٤).

ولا تعني حتمية التنوع والاختلاف بالضرورة التنافر المطلق والتضاد الذي يؤدي إلى نفي الطرف الآخر، وإلغاء وجوده، وإنما يعنى ضرورة الاعتراف والإيمان بالتعدد والتنوع لتحقيق التفاعل بين أشكال متنوعة ؛ فالتباين والاختلاف والتنوع ليست عوامل هدم، بل هي في الحقيقة عوامل تحفيز فكري (٥). فقد كفل الإسلام لغير المسلمين حرية الاعتقاد والتعبد ؛ فلا يجبر أحد على ترك دينه ليتحول إلى الإسلام (٦). كما قال ﷻ: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[البقرة: ٢٥٦].

وقد رأينا نموذجاً رائعاً لذلك في عهد النبي ﷺ مع وفد نجران: قال ابن إسحاق وفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺدخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر ؛ فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده ؛ فأراد الناس منعهم فقال رسول الله ﷺ دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم(٧).

---

(١) – فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة د: رقيه العلواني ص ٥٢ .
(٢)– انظر: تاريخ الجدل محمد أبو زهرة ص ٧ بتصرف .
(٣)– انظر: الإنصاف . عبد الله البطليوس ٢٧/١ بتصرف .
(٤) – تفسير ابن كثير ٢١١/٣ بتصرف.
(٥)– فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة د: رقية العلواني ص ٥٤ بتصرف.
(٦)– غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د: القرضاوي ١٨
(٧)– زاد المعاد ٦٢٩/٣.

فيجب على المسلم الاعتراف بالتنوع والاختلاف والإيمان بالتعددية الدينية والثقافية، وضرورة التعايش الآمن وإشاعة روح التسامح الذي دعا إليه الإسلام وتميّز به خلال تاريخه (١) .

ومن النماذج الرائعة في الإقرار بحقيقة التنوع والاختلاف ووجوب التعايش مع الجميع ما كان يفعله رسول الله ﷺ، فقد كان يحضر ولائمهم، ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد وتشغل مكاناً مشتركاً فقد كان يقترض منهم، ويرهنهم متاعا ولم يكن ذلك عجزاً من أصحابه عن إقراضه ﷺ ؛ فإن بعضهم كان ثرياً، والكل يتلهف على أن يقرض رسول اللهﷺ، بل كان يفعل ذلك تعليماً لأمته، وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووئام وتدليلا على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيه من غير دينهم (٢) .

لأن الإسلام يطالب المسلم بأن يكون له دور في إصلاح وطنه ومجتمعه، فقد ضمن الله ﷻ من التعاليم ما يليق بحال البشر أين كانوا ؟ ومتى كانوا ؟ وكيف كانوا؟ ؛ حيث راعى الإسلام الواقع في كل ما دعا إليه الناس من عقائد وعبادات وأخلاقه وتشريعات (٣).

فعلى المسلم التعامل مع المخالف بنظرة إسلامية واقعية مراعياً حكمة الله ﷻ في التنوع، والاختلاف بين بني البشر فلست مطالباً بأن تجعل الناس جميعاً على دين واحد مصطدماً مع إرادة اللهﷻ في ذلك.

ثانيا: تنفيذ أمر الله ﷻ في التعامل مع المخالف بالبر، والإقساط إليه.

لقد رغّب الحق ﷻ في البر والإقساط إلى المخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم واضعا في ذلك دستورا واضحا للعلاقة بين المسلمين، وبين غيرهم، وذلك عند التعامل معهم، وهذا يدل على أن الدين الإسلامي يقوم على أسس وطيدة من التسامح، والعدالة، والبر، والرحمة، وتلك الأسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام، بل كانت تلك المجتمعات تقاسي الويل

(١)– كلمات في الوسطية ومعالمها . د: القرضاوي بتصرف.٥٢
(٢)– سماحة الإسلام . د: أحمد الحوفي ١٨٤ .
(٣)– الخصائص العامة للإسلام . د: القرضاوي ١٦١بتصرف.

المجتمعات غير المسلمة حتى عصرنا الحاضر من فُقْدان تلك الأسس لما يغلب عليهم من اتباع الهوى، والعصبية، وضيق الأفق والأنانية، وهذا يدفع أفراد تلك المجتمعات إلى صراع دائم مع المخالف لهم في الدين، أو المذهب، أو الجنس، أو اللون(١).

فالدين الإسلامي يأمر أتباعه بالتسامح، والتعايش الآمن للجميع طالما لم يبدأ بعداوة، أو قتال ؛ فيضع الحق ﷻ دستورا للعلاقة مع غير المسلم . قال الله ﷻ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨ – ٩].

أي: لا ينهاكم الله عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، ولم يظاهروا ؛ أي: يعاونوا على إخراجكم كالنساء والضعفة منهم (أن تبروهم) ؛ أي: تحسنوا إليهم، (وتقسطوا إليهم) ؛ أي: تعدلوا(٢) ؛ أي: وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرّكم بهم(٣). فهذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلمين، وجواز برهم، وإن كانت الموالاة منقطعة منهم (٤).

ويرى البعض من المفسرين أن تلك الآية منسوخة بقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[التوبة: ٥]

وهو قول: قتادة(٥).

وقد ذكر الطبري (يرحمه الله) عند هذه الآية بعد سياقه لأقوال المفسرين، واختلافهم: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم، وتصلوهم، وتقسطوا إليهم ؛ لأن الله ﷻ عمّ بقوله: (الذين لم يقاتلوكم في الدين

(١) – انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د يوسف القرضاوي ص (٥) .
(٢) – تفسير ابن كثير ٤/٣٥٠.
(٣) – تفسير الطبري ٢٨/٦٥.
(٤) – انظر: زاد المسير ٨ /٢٣٧، تفسير القرطبي ١٨/٥٩ .
(٥) – انظر: تفسير القرطبي ١٨/٥٩، فتح القدير للشوكاني ٥/ ٢١٣.

ولم يخرجوكم من دياركم) جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصص به بعضا دون بعض.ولا معنى لقول من قال ذلك منسوخ"[1].

فالبر، والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعا، ولو كانوا كفارا بدينه ما لم يقفوا في وجهه، ويحاربوا دعاته، ويضطهدوا أهله[2]. ولا يتنافي هذا مع عدم الموالاة، أو المودة ؛ لأن الله نهي المؤمنين أن يتخذوا هؤلاء أولياء، أو أن يوادوهم، فالبر، والقسط إليهم لا يتنافى مع النهي عن الموالاة، كما قال الله ﷻ: قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[النساء: ١٤٤] .

فهذا نهي من الله عباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه[3] .

وقوله ﷻ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فقد فهم البعض من تلك الآيات وأمثالها أنها تدعوا إلى الجفوة، والقطيعة، والكراهية لغير المسلمين، وإن كانوا من أهل دار الإسلام، والموالين للمسلمين المخلصين لجماعتهم [4] .

فولاء المسلم لدينه، ولإخوانه المؤمنين لا يعيبه، بل هو ما ينبغي أن يكون عليه ؛ فالولاء، والوُدّ لا يكون إلا للمؤمن، لكن هذا لا يمنع من بره، وإقساطه لغير المسلم، فلا ينبغي للمسلم أن يكون ولاؤه لغير الأمة الإسلامية، ولذا كان التحذير في عدد من الآيات من اتخاذهم أولياء بقوله ﷻ: (من دون المؤمنين) ؛ أي: لا ينبغي للمسلم أن يتودد إليهم، ويتقرّب لهم على حساب جماعته، فلا يرضى نظام

(١) – تفسير الطبري ٢٨/٦٦.
(٢) –: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د. يوسف القرضاوي ص (٦) بتصرف .
(٣) – تفسير الطبري ٥ /٣٣٧.
(٤) – انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د: القرضاوي ٧٣ .

ديني،ولا وضعي لأحد من أتباعه أن يدع جماعته التي ينتسب إليها ليجعل ولاءه لجماعة أخرى من دونها . وهذا ما يعبّر عنه بلغة الوطنية بالخيانة(١) .

قلت: وفي اختيار الحق ﷻ (وتقسطوا) دون (وتعدلوا) سر دقيق ؛ حيث إن كلمة: (قسط) لها معنيان متضادان، وهما: العدل، والظلم ؛ فالقاف والسين والطاء: أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد(٢).

فإذا دخلت الهمزة على الفعل فأصبح (أقسط) ؛ فيكون بمعنى العدل فقط ؛ ففي العدل لغتان:قسط، وأقسط، وفي الجور لغة واحدة قسط ؛ فكأن الهمزة في أقسط للسلب(٣).

فالإقساط: إزالة القسط، وهو الجور، والقاسط – هو الجائر(٤).

وبناء عليه ؛ فإن اختيار (وتقسطوا) يفيد معنى: العدل، وإزالة الظلم الذي قد يقع عليهم. وقوله: (إليهم) بحرف الجر (إلى) يفيد أن القسط متأصل في المسلمين، وينبغي أن ينتقل منهم منتهيا إلى كل من يتعامل معهم حتى لو كانوا غير مسلمين.

وفي هذا دلالة على سموّ تعاليم الإسلام في التعامل مع المخالف، والتعايش الآمن للجميع.

ثالثا:أن المسلم ليس مكلفاً أن يحاسب غير المسلم على كفره، أو يعاقب الضالين على ضلالهم.

إن الله ﷻ شاء لعباده أن يكون منهم المؤمن، ومنهم الكافر لحكمة أرادها الله ﷻ . فليحمد المسلم ربه أن هداه الله ﷻ للإيمان، وينبغي أن يقنع نفسه بأنه ليس مكلفاً أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم ؛ فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله ﷻ يوم الحساب وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين (٥) . فإن الله ﷻ يتولى حساب العباد على

(١)– انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي د / يوسف القرضاوي ص ٧٤.
(٢) – معجم مقاييس اللغة ٨٥/٥ .
(٣) – لسان العرب ٧/ ٣٧٧، ٣٧٨ بتصرف.
(٤) –: التفسير الكبير ١١١/٢٨ بتصرف.
(٥)– غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د/ يوسف القرضاوي ص ٥٤ .

اختياره لعقيدته ويفصل بين العباد في ذلك يوم القيامة .قال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ [النجم: ٣١].

أي:ليجزي الذين أساءوا بما عملوا من سيئات الكفر، فما دونه من المعاصي، وبما عملوه من أعمال الشر بالعقوبة الفظيعة، ويجزي الذين أحسنوا بأنواع المنافع) بالحسنى ؛ أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة [١]. وذلك حتى لا يجد المسلم في نفسه أي أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر، وبين مطالبته ببره، والإقساط إليه وإقراره على ما يراه من دينه واعتقاده [٢].

وقد بلغ مبدأ التعايش السلمي مبلغاً عظيماً إلى حدّ ترك حرية الاختيار للمخالفين في اعتقاد ما يريدون بعد تبليغ الدعوة لهم وتأكيد مبدأ عدم الإكراه على الاعتقاد أو الدخول في الإسلام قسراً ؛ فالإسلام منذ لحظة ظهوره لم تكن وسيلته إلى الدعوة القهر والإكراه وحمل الناس بالعنف بكل أنواعه على اعتناقه ؛ لأنه لم يضق درعاً باختلاف الناس في معتقداتهم [٣]. فإن على المسلم أن يتجرد من هواه، ورغباته وميوله النفسية وأن يُحَكِّم شرع الله ﷻ في تعامله مع مخالفه حتى تنفُذ الكلمات والعظات وكل ما يريد توجيهه لمخالفه ؛فيجد منه قلباً مفتوحاً، وآذانا صاغية وأن لا يحكّم العصبية والهوى [٤].

فقد أُمِرْنا أن نحكم بالظاهر، وأن ندَعَ إلى الله ﷻ أمر السرائر ؛ فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله حكمنا بإسلامه في ظاهر الأمر وتركنا سريرته إلى علام الغيوب يحاسبه عليها يوم تظهر الخفايا وتنكشف الخبايا، ولذا عامل النبي ﷺ المنافقين الذين يعلم نفاقهم الباطن حسب ظواهرهم وأجرى عليهم أحكام الإسلام، وهم يكيدون له في الخفاء ولما اقترح عليه بعض الناس أن يقتلهم ويستريح من شرهم ومكرهم، أجابهم بقوله ﷺ: أخشى أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه [٥].

(١) – تفسير السعدي ٨٢١/١.
(٢) – غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د/ يوسف القرضاوي ص ٥٥ .
(٣)– فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النوبية . د: رقية العلواني ١٠٧بتصرف.
(٤) – فقه التعامل مع المخالف . د: عبد الله الطريقي ص ٣٨ بتصرف .
(٥) – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د: القرضاوي ص ٢٢٥.

رابعا: تنفيذ أمر الله ﷻ في حرمة عرض المسلم وعدم تحقيره، وحسن الظن به .

إن ديننا الحنيف قد اعتبر – من الصفات الأساسية للمسلم – عدم إيذائه لأخيه المسلم ولو بأدنى إيذاء ؛ فقد جاء النهي عن كل ما يمكن أن يؤدي إلى الحطّ من قدر المسلم مهما بلغت درجة المخالفة له [١] .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة [٢] .

وهذا يتضمن تجنب التشهير بالمخالف المسلم خاصة، بل يكتفي بتبيان الأوصاف والأفكار عوضاً عن التركيز على الأشخاص والطعن بهم ومحاولة التشهير بهم [٣].

كما بين الله ﷻ أن من حق المؤمن الصلح بين المؤمنين إذا اقتتلوا، ولم ينزع عنهم صفة الإيمان مع اقتتالهم قال ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]

أي: فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله ﷻ، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك – هو الإصلاح بينهما بالعدل[٤]. وقال ﷻ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١] فهذا أمر من الله ﷻ بإصلاح ذات البين ؛ أي: واتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا، ولا تخاصموا ولا تشاجروا ؛ فما آتاكم الله ﷻ من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه[٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب

(١) – فقه المخالف في ضوء السنة النبوية . د: رقية العلواني ص ١٤٣.
(٢) – صحيح البخاري ٨٦٢/٢.
(٣) – فقه المخالف في ضوء السنة النبوية د رقية العلواني ص ١٤٤ بتصرف .
(٤) – تفسير الطبري ٢٦/ ١٢٧.
(٥) – تفسير ابن كثير ٢ /٢٨٦ بتصرف .

الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا(١).

عن أبي الدَّرْدَاءِ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ من دَرَجَةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ قالوا بَلَى، قال: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هي الْحَالِقَةُ(٢). وفي رواية: أنه قال: هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين(٣).

فقد أمر الرسول ﷺ بإصلاح ذات البين، وأخبر أن فساد ذات البين – هي الحالقة، وأنها تحلق الدين والشريعة طافحة بهذا المعنى، وقد يقع البعض في الخوض في مخالفيهم، والنيل منهم تحت رداء ضرورة تعريف الناس بالمبتدعين، واجتنابهم . والبدع مأمور باجتنابها، واجتناب أهلها، والتحذير منها، وقد نبه النبي ﷺ على البدع بالتفصيل وأشار إلى خوض عامة فهيم وخاصة ولم يصرح بالتعيين غالباً لقطع العذر ولا ذكر فيهم علامة قاطعة لا تلتبس (٤) .

وينبغي على المسلم أن يحسن الظن بأخيه المسلم وأن لا يكون عوناً للشيطان على أخيه ؛ فهذا الصحابي الذي ابتلى بالخمر وأدمنها وأُتِى به عند رسول الله ﷺ أكثر من مرة شارباً ؛ فيضرب ويعاقب، ثم يغلبه إدماناً أو شيطانه ؛ فيعود إلى الشرب، ثم يؤتي به فيضرب ويعاقب وهكذا عدة مرات ؛ حتى قال بعض الصحابة يوماً وقد جيء به شارباً ماله لعنه الله ؟ ما أكثر أن يؤتي به ! وهنا لم يسكت النبي ﷺ على لعن هذا المسلم رغم تلطخه بالإثم، وكيف لمح كوامن الخير في أعماقه برغم ظواهر الشر على غلافه، فنهى الرسول ﷺ على لعنه ؛ لأن هذا يُحدث فجوة بينه وبين إخوانه المؤمنين ؛ فيبتعد عنهم ويبتعدون عنه وهنا يقترب من الشيطان ويقترب منه الشيطان وهذا من أسرار قوله ﷺ: لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم (٥) .

---

(١) – البخاري ٥/٢٢٥٣ برقم ٥٧١٧ باب ستر المؤمن على نفسه.

(٢) – رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٦ /٤٤٤.والبخاري في الأدب المفرد برقم ٣٩١ وأبو داوود ٤٩١٩ والترميذي ٢٥٠٩ وقال هذا حديث صحيح .

(٣) – عون المعبود شرح سنن أبي داوود ١٣ /١٧٨.

(٤) – الموافقات للشاطبي ٤/١٨١.

(٥) – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د: القرضاوي ٢٢٧، ٢٢٨

وعن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: إني لأذكر أول رجل قطعه أتى بسارق ؛ فأمر بقطعة وكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ قال قالوا يا رسول الله: كأنك كرهت قطعه قال وما يمنعني، لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم[1] .

(١) – رواه أحمد بن حنبل في مسنده ١ /٤٣٨. وابن بشران في الأمالي ٤٨٩/١ وقال شعيب الأرنؤوطي: إسناده ضعيف، حسن بشواهده

المبحث الثالث:
صفاتٌ ينبغي أن يتحلى بها المتعامل مع المخالف[1].

إن التعامل مع المخالف يحتاج إلى من يتحلّى بصفات تمكنه من تنفيذ منهج الله ﷻ في التعامل معه.

ومن تلك الصفات:

١)–الإخلاص لله ﷻ، واتباع هدى القرآن الكريم والسنة النبوية في التعامل مع المخالف.

إن الإخلاص لله ﷻ في كل عمل – هو شرط في جميع العبادات التي أمرنا الله ﷻ بها، ومن تلك الأمور: التعامل مع المخالف؛لأن الله ﷻ وضع منهجاً ودستوراً للتعامل مع المخالف؛فينبغي على المسلم أن يخلص نيته لله ﷻ في تعاملاته، فإخلاص العمل لله ابتغاء لمرضاته وطلباً لثوابه وفقاً للهدي النبوي؛حتى يتقرب بعمله هذا إلى الله[2].قال ﷻ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]

فمن يخاف ربه ﷻ يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ؛ فليعمل عملا صالحا ؛ أي: فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية، ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته إذا راءى بعمله الذي ظاهره أنه لله ﷻ، وهو مريد به غيره [3].

كما أن النبي ﷺ جعل مدار العمل وصحته على إخلاص النية كما في الحديث الذي رواه البخاري: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه[4].

(١)– ما أذكره من صفات هنا ليس على سبيل الحصر، وإنما بما يتناسب مع هذا البحث.
(٢)– الحسبة لابن تيمية ص ١٨٦ بتصرف.
(٣)– تفسير الطبري ٣٩/١٦ .
(٤)–رواه البخاري ٣/١ .

فالإخلاص لله ﷻ شرط في تعاملك مع المخالف حتى تلتزم بمنهج الله ﷻ، فالمسلم الحق وهو يتعامل مع مخالفه لابد أولاً أن تكون نيته حسنة خالصة لله ﷻ (١).

فقد أمر الله ﷻ المسلمين صراحة بالبر، والقسط، والعدل مع المسالمين من غير المسلمين (٢). قال الله ﷻ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

أي: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم، لأن الله ﷻ عمّ بقوله الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضا دون بعض (٣)

وقال صاحب أضواء البيان: وفي هاتين الآيتين صنفان من الأعداء، وقسمان من المعاملة:

الصنف الأول: عدوّ لم يقاتلوا المسلمين في دينهم ولم يخرجوهم من ديارهم . فهؤلاء قال الله ﷻ في حقهم: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]

والصنف الثاني: قاتَلوا المسلمين وأخْرَجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم، وهؤلاء يقول الله ﷻ فيهم: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩] ؛ إذاً فهما قسمان مختلفان، وحكمان متغايران، وإن كان القسمان لم يخرجا عن عموم: (عدوي وعدوكم) المتقدم في أول السورة، أما التقسيم ؛ فقسمان:

١- قسم مُسَالِمٌ لم يقاتل المسلمين، ولم يخرجهم من ديارهم، فلم ينه الله ﷻ المسلمين عن برهم، والإقساط إليهم ٢- قسم غير مسالم يقاتل المسلمين

(١) – الفقيه والمتفقة للخطيب ٢/٢٥.
(٢)- فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية د . رقية العلواني ١٣٨بتصرف.ي
(٣) – تفسير الطبري ٢٨/٦٦ بتصرف.

ويخرجهم من ديارهم ويظاهر على إخراجهم، فنهى الله ﷻ المسلمين عن موالاتهم، وفرّق بين الإذن بالبر والقسط، وبين النهي عن الموالاة والمودة، ويشهد لهذا التقسيم ما في الآية الأولى من قرائن، وهي عموم الوصف بالكفر، وخصوص الوصف بإخراج الرسول وإياكم . ومعلوم أن إخراج الرسول ﷺ، والمسلمين من ديارهم كان نتيجة لقتالهم وإيذائهم، فهذا القسم هو المعني بالنهي عن موالاته لموقفه المعادي لأن المعاداة تنافي الموالاة ولذا عقب عليه بقوله ﷻ: ﭽ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﭼ؛ فأيّ ظلم بعد موالاة الفرد لأعداء أمته وأعداء الله ورسوله[1].

و أيضا ما ذكره الطبري بسنده عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: نزلت في أسماء بنت أبي بكر وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها: قتيلة ابنة عبد العزى، فأتتها بهدايا، وصناب[2]، وأَقِط[3]، وسمن ؛ فقالت: لا أقبل لك هدية، ولا تدخلي علي حتى يأذن رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك عائشةُ لرسول الله ﷺ ؛ فأنزل الله ﷻ: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين [4]

فالبر والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعاً ولو كانوا كفاراً بدينه ما لم يقفوا في وجهه ويحاربوا دعائه ويضطهد وأهله [5] .
فلا ينبغي أن يكون منهج المسلم في تعامله مع مخالفه غير موافق لشرع الله ﷻ ، ولا مصادم له، ولا من بين بنيات العقول المحضة، ولا من المبتدعات المنحرفة [6] .
بل يلتزم صراط الله المستقيم في تعامله مع مخالفه مبتغياً بذلك وجه الله ﷻ.

(١) – أضواء البيان . محمد الأمين الشنقيطي ٨/٩١،٩٠.
(٢) – الصناب: صباغ يتخذ منه الخردل والزبيب . لسان العرب ١ /٥٣١.
(٣) –الأقط: بوزن الكتف: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ، ثم يترك ثم يمصل، والقطعة منه أقطة .
انظر: لسان العرب ٧ /٢٥٧، مختار الصحاح ١/ ٨، معجم مقاييس اللغة ١/١٢١
(٤) – تفسير الطبري ٢٨/٦٦.، وينظر أيضا: زاد المسير ٨/٢٣٦.
(٥) – غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د. القرضاوي ص ٢٦
(٦) – فقه التعامل مع المخالف د . عبد الله الطريقي ص ٣٢ بتصرف .

٢- الاستقامة على منهج الله ﷻ.

فالاستقامة على منهج الله ﷻ من أهم ما ينبغي أن يكون فيمن يتعامل مع المخالف، وهي من معالم الوسطية التي هي: استقامة المنهج والبعد عن الميل والانحراف (١).

والاستقامة هي: سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم من غير اعوجاج (٢).

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣] أي: اعترفوا، ونطقوا، ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علما وعملا، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة(٣). فهم أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على شرع الله لهم(٤).

٣- التخلّق بالخلق الحسن .

إن المسلم مطالب بأن يتحلى بالخلق الحسن في كل تعاملاته مع العباد حتى لو كان يتعامل مع مخالف غير مسلم، لما في الخلق الحسن من صفات البر التي تجمع كل صفات الخير. والله ﷻ عندما مدح رسوله ﷺ قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

وفسرتْ عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن (٥).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وفي رواية: صالح الأخلاق (٦). عن مَسْرُوقٍ قال كنا جُلُوسًا مع عبد

(١) -كلمات في الوسطية ومعالمها . د . القرضاوي ١٧
(٢)- جامع العلوم والحكم . ابن رجب ١٩٣ بتصرف.
(٣) - تفسير السعدي ٧٤٨/١ بتصرف.
(٤)- تفسير ابن كثير ٩٩/٤ بتصرف.
(٥) – تفسير التحرير والتنوير ١/ ٤٠ . والحديث اخرجه أحمد ٢٤٦٠١ وقال الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث صحيح انظر حديث رقم ٤٨١١ .
(٦) – الأدب المفرد للبخاري ١/ ٢٧٢ برقم ٢٧٣ باب حسن الخلق، وأحمد في مسنده ٣٨١/٢ برقم ٨٩٣٩، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٤٥، والحديث صحيح.

الله بن عمرو يحدثنا إذ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: إن خياركم أحاسنكم أخلاقا [١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكما نعلم ؛ فإن حسن الخلق هو البر[٢] ؛ فعندما سئل النبي ﷺ عن البر، فقال البر: حسن الخلق [٣]. وقيل حسن الخلق: أن يكون سهل العريكة، ولين الجانب، طليق الوجه، قليل النفور، طيب القلب [٤].

ومن حسن الخلق أن يكون الإنسان عادلا منصفا مع من يتعامل معه . فالعدل ضرورة لقبول شهادة الشاهد فما لم يكن عدلاً فإن شهادته مرفوضة مردودة[٥].

والإنصاف حيلة لازمة وما أحسن ما قيل: وما تحلى طالب العلم بشيء أحسن من الإنصاف وترك التعصب [٦] قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[النساء: ٥٨] .

فقد أمر بإيصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير إلى أصحابها إثر الأمر بإيصال الحقوق المتعلقة بذممهم[٧]. ومن مقتضيات الخلق الحسن في تعاملك مع المخالف: ذكر محامده ومحاسنه وعدم غمطه حقه في ذلك [٨]

وبهذا كان أهل السنة – هم أهل العدل والرحمة ؛ حيث جمعوا بين معرفة الحق، وموافقة السنة والسلامة من البدعة مع عدلهم مع من خرج عنهم ولو ظلمهم [٩]، من مقتضيات الإنصاف وحسن الخلق في تعاملك مع المخالف أن يكون حكمك

(١) – صحيح البخاري ٥/ ٢٢٤٥. برقم ٥٦٨٨ باب: لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا.
(٢) – الاستقامة لابن تيمية ٣٨/١
(٣) – صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٠.كتاب البر والصلة .
(٤) – أدب الدنيا والدين المارد ٢٥٣.
(٥) – كلمات في الوسطية ومعالمها . د . القرضاوي ١٦
(٦) – فقه الرد على المخالف.خالد السبت ١٩٥ نقلا عن نصب الراية للحافظ ابن عبد الهادي ٣٥٥/١.
(٧) – روح المعاني ٥ /٦٤ بتصرف.
(٨) – فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية . د. رقية العلواني١٤٩.
(٩) – فقه الرد على المخالف . خالد السبت ١٩٨

على الظاهر دون الباطن[١]؛ لأنك غير مكلف بالشق عن قلوب الناس، وإنما نحن ملزمون بالأخذ بما ظهر منهم [٢]، والخلق الحسن يتطلب الإنصاف مع المخالف، والإنصاف يتطلب حكمة وضبطاً لأعصابك حتى تستطيع استمالة المخالف المتعامل معك (٣) . فمع البراءة من الكفار إلا أن الله ﷻ أمر بإنصافهم، وعدم بخسهم حقوقهم[٤]. قال ﷻ: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: ٨].

ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل[٥]، فقد نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا، ثم استأنف، فذكر لهم وجه الأمر بالعدل[٦].

وقد أمر النبي ﷺ بإنصاف أهل الذمة والمستأمنين، ونهي عن ظلمهم [٧]. وذلك في الحديث الذي رواه أبو داوود . عن رسول الله ﷺ قال ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة[٨].

وإذا كنا مأمورين بالإنصاف مع الكفار فلا بد أن نكون منصفين مع المسلمين من أهل البدعة ممن لم يخرجوا عن الإسلام أولى [٩].هكذا ينبغي أن يكون المتعامل مع الناس ولا سيما مع المخالف [١٠] .

(١) – إنصاف أهل السنة والجماعة محمد العلي ١٧٨– ١٨١ بتصرف.
(٢)– فقه الرد على المخالف . خالد السبت ١٩٩
(٣) – فقه الائتلاف – قواعد التعامل مع المخالف .محمود الخزندار ٢٢٩ بتصرف
(٤) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم محمد العلي٣٢.
(٥) – زاد المسير ٣٠٧/٢ بتصرف.
(٦) –الكشاف ٦٤٧/١.
(٧) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم محمد العلي ٣٥.
(٨) – سنن أبي داود ٣/ ١٧٠ برقم ٣٠٥٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠٥/٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٦٥٥، والسلسلة الصحيحة برقم ٤٤٥، والحديث صحيح
(٩) – المصدر السابق ٣٧
(١٠) – فقه التعامل مع المخالف . د. الطريف ٣٧

لأنه مما يبتلى به المتعصبون أنهم يرون في أهل الإنصاف خطرا عليهم ؛ فيحذرون منهم، ولا يكون الإنصاف إنصافاً على الحقيقة إلا بالعدل الذي أمر الله ﷻ به[1]

٤– التجرد من الهوى .

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك: لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية .[2]

وعرفه البعض بأنه: كل ما خالف الحق وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد[3] .

والهوى خلق ذميم ؛ لأنه يُنتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكاً[4]. ولذا جعل الحق ﷻ نَهْي النفس عن الهوى واحد من أمرين اثنين لمن يرغب في أن تكون الجنة مأواه . قال ﷻ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] .

أي: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ﷻ، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ربه ﷻ، فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة[5]. فعلى المسلم المتعامل مع المخالف التجرد من هواه ؛ حتى يتمكن من تنفيذ أمر الله ﷻ عند تعامله مع المخالف.

٥–الحكمة، والتثبت قبل إصدار الأحكام.

إن الاستعجال في إصدار الأحكام على الآخرين، واتخاذ المواقف منهم، أو توجيه نقد إليهم يُعرّض صاحبه للزلل والخطأ إذ لا بد من التثبت[6] ؛ فإن التثبت، والتبين قبل إصدار الأحكام على الناس لمن الحكمة .

(١) – فقه الائتلاف محمود الخزندار ٨٥
(٢) – المفردات في غريب القرآن ١/ ٥٤٨.
(٣) – الهوى وأثره في الخلاف . الشيخ . عبد الله الغنيمان ص ١٢ .
(٤) – تفسير الطبري ٣٠ /٤٨.
(٥) – أدب الدنيا والدين المارد ص ٢٣ .
(٦) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم محمد العلي ص ١٣٤.

والحكمة: وضْع الشيء في موضعه، وإيقاعه في موقعه . والحكيم من يضع الأمور في مواضعها(١).

وهي من الله ﷻ معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام،ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات(٢)؛ولذا حذّر الله ﷻ المؤمنين من التسرع في إصدار الحكم على الآخرين قبل التثبت.قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات:٦] .

فتبينوا لئلا تصيبوا قوما برآء مما قذفوا به بجناية بجهالة منكم فتصبحوا على ما فعلتم نادمين يقول فتندموا على إصابتكم إياهم بالجناية التي تصيبونهم بها(٣).

ولقد عاب الله ﷻ على المتسرعين في نقل الأقوال، وإشاعة الأخبار من غير تبين، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٞ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾[النساء: ٨٣] .

فهؤلاء هم جماعة من ضعفة المسلمين كانوا إذا سمعوا شيئا من أمر المسلمين فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم، أو فيه خوف نحو هزيمة المسلمين، وقتلهم أفشوه وهم يظنون أنه لا شيء عليهم في ذلك(٤). بل إن الله ﷻ يعاتب الذين يسارعون في نقل الكلام دون تثبت، أو تبين بأنهم يتلقون الكلام بألسنتهم، لا بآذانهم. قال ﷻ: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٞ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴾ [النور: ١٥].

وإنما جعلت الألسن آلة للتلقي مع أن تلقي الأخبار بالأسماع ؛ لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر، وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر

(١) – فقه الرد على المخالف . خالد السبت ص ١٨.
(٢) – المفردات في غريب القرآن ١/ ١٢٧.
(٣) – انظر: تفسير الطبري ٢٦/١٢٥.
(٤) – انظر: فتح القدير ١/٤٩١.

فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو ولا تريث، وهذا تعريض بالتوبيخ أيضاً[١].

وتتأكد أهمية الحكمة في التثبت قبل إصدار الأحكام لما نراه في مجتمعاتنا من وسائل الإعلام التي تعتمد على أسلوب الإثارة، والتضخيم، والتزييد، والتحريف في الأخبار والتحليلات، واستهداف ضرب العلماء، والدعاة بعضهم ببعض، وزرع الفتنة بين الشباب ؛ حتى ينشغلوا ببعضهم[٢].

فينبغي على المتعامل مع المخالف الاتصاف بالحكمة ؛ حيث إن الله ﷻ أمر المسلم بالدعوة إلى سبيل ربه ﷻ بالحكمة. قال ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

فالله ﷻ يأمر رسوله محمدا ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله ﷻ بالحكمة[٣].

فالداعية الحكيم- هو الذي يوصّل الدعوة إلى غيره بألين الطرق، وأرقّ العبارات دون أدنى تفريط في المضمون ؛ لأن الأسلوب الخشن في التعامل، أو في الدعوة يضيّع المضمون الحسن [٤]فعلى كل من يتعامل مع المخالف أن يتخلّق بالخلق الحسن، وأن لا يتسرّع في إصدار الأحكام على النا

(١) – تفسير التحرير والتنوير ١٨/ ١٧٨.
(٢) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ١٣٦.
(٣) – تفسير ابن كثير ٢/٥٩٢.
(٤) – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د/ يوسف القرضاوي ص ٢١٢ بتصرف.

المبحث الرابع:
قواعد وضوابط في التعامل مع المخالف[١].

وفيه مطلبان.

المطلب الأول: قواعد، وضوابط في التعامل مع المخالف المسلم، وغيره.

بعد أن بينت الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المتعامل مع المخالف، ثم الأهداف المنشودة من التعامل مع المخالف، ثم الأسس التي ينبغي أن يضعها المسلم نصب عينيه في تعامله مع مخالفه، أذكر هنا بعضاً من القواعد والضوابط المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية لتطبيقها عملياً عند التعامل مع المخالف امسلم، وغيره.

وأبدأ أوّلا بتعريف: القاعدة والضابط بإيجاز كما يلي:

تعريف القاعدة: تفيد مادة: قعد معنى: الاستقرار، والثبات . والقعود: نقيض القيام

وقواعد البيت: أسُسه، وأصوله التي يبنى عليها،سميت بذلك:لأن البيت بها يَثْبت، وعليها يستقر[٢].

وفي الاصطلاح: ما يُقَعّد عليه الشيء ؛ أي: يستقر، ويثبت. و عرفا:قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[٣].

تعريف الضابط في اللغة: مأخوذ من الضبط الذي – هو لزوم الشيء وحبسه .

والضبط: إحكام الشيء وإتقانه[٤].

والعلماء في تعريف الضابط علي فريقين .

١–أن الضابط مرادف للقاعدة ؛ وعليه فلا فرق بينهما.

٢–أن الضابط غير القاعدة ؛ حيث يختص الضابط بباب؛وأما القواعد فلا تختص بباب واحد[٥].

---

(١) – ما أذكره من قواعد، وضوابط ليس على سبيل الحصر، وإنما ما أستطيع استنباطه بما يتناسب مع هذا البحث.

(٢) – لسان العرب ٣ | ٣٦٢ ، المفردات للأصفهاني ١ | ٤٠٩ بتصرف.

(٣) – التعريفات للجرجاني ١ | ٢١٩، التعاريف محمد المناوي ١ | ٥٦٩.

(٤) – لسان العرب ٧ | ٣٤٠.

(٥) – القواعد الفقهية د يعقوب بن عبد الوهاب ٥٨–٦٠بتصرف.

وأهم القواعد، والضوابط المستنبطة كما يلي:

١- تحرّي العدل والإنصاف والتبرؤ من التعصب لرأي محدد عند التعامل مع المخالف.

إن التعامل مع المخالف يتطلب من أهل الحق تحرّي العدل والإنصاف، وأن يحذروا من التعصب حتى لا يعميهم ذلك عن رؤية كامل الحقيقة ؛ فتصير أحكامهم خارجة عن إرادة العدل، والقصد، والصواب(١).

فمن معاني الوسطية التي وصفت بها الأمة ورتبت عليها شهاداتها على البشرية كلها: (العدل) الذي هو ضرورة لقبول شهادة الشاهد، فالعدل والتوسط والتوازن عبارات متقاربة المعنى(٢) .

فالإنصاف في المعاملة– هو العدل بأن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلا كما ينيله(٣).

وللإنصاف أنواع عديدة، منها: أن ينصف المرء الناس من نفسه، أو ممن يحب، حتى لو كان هذا الغير مخالفا له في الرأي، أو في الدين، أو في المذهب، أو غير ذلك مما يقتضي التعامل، أو يكون مظنة الجور(٤).

ويبين ابن قيم الجوزية الإنصاف مع المخالف بقوله: " أن تؤدي حقوقهم، وألا تطالبهم بما ليس لك، وألا تحملهم فوق وسعهم، وأن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وأن تعفيهم مما تحب أن يعفوك منه، وأن تحكم لهم أو عليهم بما تحكم لنفسك أو عليها" (٥)؛ لأن المسلمين – هم أهل الميزان الذي تنضبط به العدالة ويتحقق الإنصاف الذي تقوم على أساسه الحياة البشرية (٦) .

---

(١)– فقه الائتلاف قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف محمود الخزندار ص ٩١ بتصرف .

(٢)– الخصائص العامة للإسلام د القرضاوي ص ١٣١ بتصرف.

(٣)– التوقيف على مهمات التعاريف . محمد عبد الرءوف المناوي ٩٩/١ المفردات في غريب القرآن ١/ ٤٩٥.

(٤)– فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية د. رقية العلواني ١٣٧.

(٥)– المصدر السابق ص ١٣٧ نقلا عن: حاشية ابن قيم الجوزية، الفوائد ص ٤٩.

(٦)– إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ص ٣٩ .

فالمجتمع المسلم مميز بفضيلة بارزة في حياته، وهي الجمع بين الثبات الذي يمنحه الاستقرار ؛ فلا يتزحزح عن مبادئه، ولا يتحول عن أصوله، وبين المرونة التي يواجه بها سير الزمن وسنة التطور [1].

فقد أمرنا الله ﷻ بالعدل في القول في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

أي: إذا قلتم قولا فاعدلوا فيه، وتحروا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سووا بين الناس ؛ فإن ذلك من العدل الذي أمر الله ﷻ به[2].

وبالعدل في الحكم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ ﴾[النساء: ٥٨] .

أي: ويأمركم إذا حكمتم بين رعيتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف. وذلك حكم الله ﷻ الذي أنزله في كتابه، وبيّنه على لسان رسولهﷺ لا تعدوا ذلك ؛ فتجوروا عليهم[3].

كما أمر الله ﷻ بالعدل مع النفس أو الوالدين، والأقربين في قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[النساء: ١٣٥] .

أي: مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله ﷻ، ولو على أنفسكم ؛ لأن الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره (أو الوالدين والأقربين) ؛ أي: ولو على والديكم، وأقاربكم[4].

كما حرم الإسلام الظلم على إطلاقه، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه ﷻ: إني حرمت على نفسي الظلم، وعلى عبادي ؛ فلا تظالموا [5] .

---

(١) – انظر: الخصائص العامة للإسلام — د. يوسف القرضاوي ص ٢٥٠

(٢) – فتح القدير ٢ /١٧٨بتصرف.

(٣) – تفسير الطبري ٥/١٤٦بتصرف.

(٤) – تفسير البيضاوي ٢/ ٢٦٥ بتصرف.

(٥) – صحيح مسلم ٤ / ١٩٩٥ برقم ٢٥٧٧ باب تحريم الظلم.

ومعنى فلا تظالموا ؛ أي: لا يظلم بعضكم بعضا[١].

كما حذّر رسول الله ﷺ من الظلم ؛ فعن جابر بن عبد اللهرضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة [٢].

ومع أن من عقيدة المسلم التبرؤ من الكفار، والموالاة للمسلمين كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٤٤]. وهذا نهي من الله ﷻ عباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه[٣].ومع هذه البراءة من الكافر إلا أن الله ﷻ أمر بإنصافهم، وعدم بخسهم حقوقهم[٤].قال ﷻ:﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾[المائدة: ٨] .

قال القرطبي: ودلت الآية أيضا على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل [٥].

فالتعصب يعمي الإنسان عن الحقيقة، وعن تقدير الأمور حق قدرها ؛ لأن صاحب كل مذهب يريد أن يثبت أنه على حق، وهذا يعميه عن تمام الحقيقة ؛ فينزلق إلى الظلم والإجحاف، وقلّ أن ينصف ؛ لأن حب المذهب أو الرأي معقود في قلبه [٦].

والتعصب – هو: عدم قبول الحق بعد ظهور الدليل فيصرّ الإنسان على رأيه وخطئه ومن ثم يستمر في باطله [٧] والعدل والإنصاف منهج دقيق [٨] .

وكان من منهج النبي ﷺ أنه لم يُغْمط حق أحد من مخالفيه لمراعاة الذات، ولم يناصر دعوته على غيرها لمجرد العصبية، أو بدافع هوى، بل فتح آفاق الحوار مع المخالفين بأسلوب كان العدل رائده و الإنصاف ديدنه [٩].

---

(١) – شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ /١٣٢.
(٢) – صحيح مسلم ٤ /١٩٩٦ برقم ٢٥٧٩ باب تحريم الظلم.
(٣) – تفسير الطبري ٥ /٣٣٧.
(٤) –إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ص ٣٢.
(٥) – تفسير القرطبي ٦/١١٠.
(٦) – فقه الائتلاف – قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف . محمود الخزندار ص ١٦٤.
(٧)– الاستقامة . لابن تيمية٢/٢٤٧.
(٨)– فقه الرد على المخالف . خالد السبت ٢٧١.
(٩)– فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية . د . رقيه العلواني ١٤٢ بتصرف.

٢- عدم التجريح لمخالفك، أو التشفّي منه.

فإن التشهير بالمخالف، والنيل منه، والتعرض له، والتجريح به من قبيل الظلم ؛ فهو منهي عنه [١] ؛ لأن التعصب لرأي أو مذهب- هو الذي يؤدي إلى التشنيع على المخالف بسبب حجب الرؤية والموضوعية وعدم التأني في الحكم، فلا يرى إلا مساوئ المخالف وأخطاءه، فيقع في إيثار التشنيع والتجريح[٢] .

والتشفي يقال: تشفى فلاف من عدوه: إذا نكى فيه نكاية تسره [٣].

فلا ينبغي التشفي من عدوك، فإذا أذنب فلا تفرح بذنبه، ولا تتخذ الوقائع العارضة منهية لحال الشخص ؛ لأن البحث عن هفواته وتصيّدها — هي ذنوب مضافة أخرى والرسوخ في الإنصاف بحاجة إلى قدر كبير من خلق رفيع ودين متين[٤] .

فنحن قد أمرنا أن نقول للناس حسناً، كما قال ﷻ: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣] .

أي: قولوا لهم القول الطيب، وجاوبوهم بأحسن ما يحبون[٥]. فلا ينبغي التجريح لمخالفك،والنيل منه وإسقاط أوصاف معينة عليه ونشرها عنه دون التثبت والتروي[٦].

٣- قبول الحق والإذعان له ؛ حتى لو كان من المخالف لك:

إن الحق ضالة المؤمن يقبله من كل من قاله، كائناً من كان،بغض النظر عمن قال به، فالحق يعرف بذاته، لا يعرف بمن قاله [٧]. فإن الإسلام يحترم الإنسان،ويكرمه من حيث- هو إنسان لا من أي حيثية أخرى [٨]

(١)- فقه الحوار في السنة النبوية . د . رقيه العلواني ١٤١.
(٢)- إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ١١٤ بتصرف.
(٣)- تاج العروس للزبيدي ٣٨٤/٣٨ .
(٤)- فقه الائتلاف .محمود الخازندار ١٠٣-٣٠٤ نقلا عن: تصنيف الناس بين الظن واليقين الشيخ بكر أبو زيد ٧٨ بتصرف.
(٥)- روح المعاني ٣٠٨/١ بتصرف.
(٦)- فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية . د . رقية العلواني ١٤٢ بتصرف .
(٧)-المصدر السابق ص ١٥٠، ١٥١ بتصرف.
(٨)- انظر: الخصائص العامة للإسلام . د . القرضاوي ص ٩٤

والمؤمن مطالب بلزوم الحق، واتباعه، وأن يدور معه حيث دار [1] . فالله ﷻ أمرنا بالعدل في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾[الأنعام: ١٥٢] .

أي: في قولكم بمراعاة الصدق فيمن تحبون، ومن تكرهون والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه؛ فإن الميل على من تكره بالكلام فيه، أو في مقالته، من الظلم المحرّم[2] .

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن يهودية جاءت تسألها، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر ؛ فسألت عائشة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم، فقال رسول الله ﷺ عائذا بالله[3] .

فإن النبي ﷺ لم يقف مطلقاً عند الشخص الصادر عنه الكلام، بل ذهب إلى ذات الكلام، فإذا ما ثبت صدقه، قَبِل به، بل وسار عليه [4] .

وقال رجل لابن مسعود: أوصني ؛ فكان مما أوصاه به أن قال له:" ومن أتاك بحق فاقبل منه، وإن كان بعيداً أو بغيضاً، ومن أتاك بالباطل فارددّه، وإن كان قريباً حبيباً " [5] .

يقول ابن تيمية(يرحمه الله) : "والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني — فضلاً عن الرافضي — قولا فيه حق أن تتركه أو نرده كله بل لا ترد إلا ما فيه الباطل دون ما فيه الحق" [6].

وقبول الحق الذي جاء به المخالف لا يعني موافقته في كل شيء، ولا الرضا عنه فيما يخطئ فيه، وهذا ميزان دقيق ينبغي التنبه إلى خطورة وقوع الخلل فيه [7] .

---

(١)- فقه الرد على المخالف . خالد السبت ٢١٥

(٢)- تفسير السعدي ١/٢٨٠.

(٣)- رواه البخاري ١ /٣٥٦ برقم ٢٠٠١ باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف.

(٤)- فقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة . د . رقية العلواني ١٥١.

(٥)- الإحكام في أصول الأحكام . لابن حزم ٤/٥٨٦.

(٦)- منهاج السنة النبوية . ابن تيمية ٢/٣٤٢.

(٧) – فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية .د رقية العلواني ١٥٤بتصرف.

٤ – القناعة بقبول فكرة اتساع الدنيا للجميع،وضرورة التعاون على استثمار خيراتها، وإعمارها.

إن الله ﷻ خلق الإنسان في هذا الكون وفضّله على سائر المخلوقات، فلقد أعلن الإسلام كرامة الإنسان فاعتبره خليفة الله ﷻ في الأرض، وهي منزلة اشرأبّت إليها أعناق الملائكة، وتشوّقت إليها أنفسهم، فلم يعطوها ومنحها الله ﷻ للإنسان، وهذا تكريم من الله ﷻ للإنسان بالخلافة في الأرض، وهيّأه لها بالعقل والعلم الذي تفوّق به على الملائكة [١].

قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] . كما أن الله ﷻ بيّن على لسان رسوله (صالح عليه السلام) أن من نعم الله ﷻ أنه استعمره في الأرض.قال ﷻ: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾[هود: ٦١].

قال ابن عاشور: ومعنى الإعمار: أنهم جَعلوا الأرض عامرة بالبناء، والغرس، والزرع ؛ لأنّ ذلك يعدّ تعميراً للأرض حتى سمي الحرث عِمارة ؛ لأنّ المقصود منه عَمر الأرض[٢].

ولقد أوجد الإسلام وضعاً من التعايش السلمي المبني على الوفاق والوئام والتسامح في التعامل مع المخالف في ظل المجتمع الواحد [٣].والخلاف الفكري ينشأ من اختلاف الطبائع والعقول البشرية، فهو من طبيعتهم، أو من لوازم طبيعتهم. ونحن مأمورون شرعاً بتجنب أسباب الخلاف، ومطالبون بالحد من آثاره، ونقع في الإثم حين نستسلم للخلاف أو نعمّق جذوره بحجة أنه قدر حتميّ [٤] .

فالمجتمع المسلم لا يحكم بالفناء على جميع العناصر الذي تعيش في داخله، وهي تدين بغير الإسلام، بل هو يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم غير المسلمين على أسس وطيدة من التسامح والعدالة وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام [٥].

(١)– الخصائص العامة للإسلام . د . يوسف القرضاوي ٧٤ بتصرف.
(٢)– تفسير التحرير والتنوير ١٢/ ١٠٨.
(٣)– فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية. د. رقية العلواني ٩٥ بتصرف.
(٤)– فقه الائتلاف – قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف . محمود الخزندار ٢٢
(٥)– انظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د . يوسف القرضاوي ص ٥ .

والله ﷻ أمر عباده المؤمنين بفعل الخير وهو عام لمعاني الخير كلها . فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧]. بعد أن أمر بالعبادة والخضوع والانقياد لأمر الله ﷻ، أمر بتحرّي ما هو خير، وأصلح في كل ما تأتون وما تذرون، كنوافل الطاعات، وصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق(١).

ويحثنا رسول الله ﷺ على استثمار خيرات تلك الدنيا، وأعمارها ؛ حتى لو قامت الساعة، وفي إمكانك أن تزرع ليحصد غيرك فافعل.

عن أنس بن مَالِكٍ ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إن قَامَتِ السَّاعَةُ، وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فإن اسْتَطَاعَ أن لاَ يَقُومَ حتى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ(٢) .

وهذا حث من الرسول ﷺ أن يكون للمسلم دور رئيس في إعمار تلك الأرض بما ينفع أهلها.

٥- عدم إثارة المخالف بالتعالي عليه بما منحك الله ﷻ من الاهتداء لصراطه المستقيم.

إن الله ﷻ يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم، وتلك منحة وعطية من الله ﷻ، فلا ينبغي أن تتعالى، وتتكبر على المخالف لك بتلك المنحة، فالله ﷻ يقول: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗا ﴾ [القصص: ٨٣]. والمعنى: تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض، وتجبرا عنه ولا فسادا ؛

أي: ولا ظلم الناس بغير حق، وعملا بمعاصي الله ﷻ فيها(٣).

فلأننا بشر، ولأن أجواء التحدي تستفز ما فينا من ردود الفعل المعاكسة، فإنّ عَرْض الحق بطريقة استفزازية يزيد الاستمساك بالباطل، والتعامل مع المخطئ باستعلاء، وفوقية يجعله يرفض الإقرار بأحقية الحق، وبطلان الباطل(٤).

---

(١)- تفسير أبي السعود ٦ / ١٢٢ .

(٢)- رواه أحمد في مسنده ١٩١/٣ برقم ١٣٠-٤والبخاري في الأدب المفرد برقم ٤٧٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٨/١، وقال: وهذا سند صحيح على شرط مسلم .

(٣) - تفسير الطبري ٢٠/ ١٢٢.

(٤) - فقه الائتلاف – قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف. محمود الخزندار ١٣٩ .

فإنّ المسلم ينبغي أن يعيش في مجتمعه ينبوعاً يفيض بالخير، والرحمة، ويتدفق بالنفع والبركة يفعل الخير ويدعو إليه ويبذل المعروف ويدل عليه ؛ فهو مفتاح للخير، ومغلاق للشر[1].

فلا ينبغي إثارة المخالف بالتعالي عليه بما منحك الله ﷻ من نعمة الاهتداء لصراط المستقيم ؛ لأن اللهﷻ – هو الذي يهدي من يشاء من عباده . قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

ثم إن المسلم مأمور بفعل الخير للناس، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

أي: وتحرّوا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات، وصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق[2].

فتلك شعبتان لرسالة المسلم في الحياة .

١– شعبة تحدد علاقته بالله ﷻ، وتتمثل في عبادة الله ﷻ .

٢–شعبة تحدد علاقته بالمجتمع، وتتمثل في الخير، فمن شغل نفسه بفعل الخير في المجتمع لم يشغل نفسه إلا بما أوجب الله ﷻ عليه، ومَنْ فعل ذلك فهو مأجور عند الله ﷻ، محمود عند الناس [3] .

إن قدرة أي أمة في تحقيق قوتها ورقيّها– هو في قدرتها على استيعاب الآخرين، وضمّهم في مسيرتها، وتحقيق الوفاق الجماعي الشامل، كما أنّ عجز أي أمة يتبين من نبذها للآخرين، وتشتيتها لأفرادها، واختيار تقطيع أوصالها لكيانها عندما ترفض مبدأ التوافق. فالإنسان وحده لا يشكل إلا وجودا يمثل وجها واحدا، والوجه الآخر – هو الإنسان الآخر الذي يمثل البعد الآخر المكمل للوجود الإنساني[4].

---

(١) – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د . يوسف القرضاوي ٢٢١ .

(٢) – تفسير البيضاوي ١٤٢/٤.

(٣)– الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د . يوسف القرضاوي ٢٢١.

(٤)– فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية. د . رقية العلواني ٢٦٩ بتصرف .

ولن يتأتى الوفاق والتعايش إلا بتطبيق منهج الله ﷻ في التعامل مع المخالف، ومنه عدم إثارة المخالف، أو استفزازه، بل عليك أن تأخذ بيديه إلى الحق بالأسلوب اللين، وبالحكمة، والموعظة الحسنة.

٦-الامتناع عن كل مجادلة تفضي إلى نزاع، و إجراء الحوار للوصول إلى الحق مع المخالف.

لقد حذر الله ﷻ في كتابه من الجدال بالباطل ؛ لأنه يؤدي إلى الضلال . قال ﷻ: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡ ﴾[غافر: ٥].

أي: وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم إياه، وخصومتهم له الحق الذي جاءهم به من عند الله من الدخول في طاعته، والإقرار بتوحيده[١].

وعن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ قال: إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم [٢].

والألدّ: شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي، وهما جانباه ؛ لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر، والمذموم – هو الخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل[٣].

والجدال الممنوع: هو الجدال المقضي إلى النزاع، والخصومة الذي لا يراد منه الوصول إلى الحق، أو يُقصد منه تعجيز الغير وإفحامه، أو الانتصار للنفس، أو غير ذلك من المقاصد السيئة، أما إذا كان النقاش والمجادلة من أجل الوصول إلى الحق ومعرفته فهذا جائز [٤] .

قال ﷻ: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل: ١٢٥].

أي: من احتاج منهم إلى مناظرة، وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب[٥] .

وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[العنكبوت: ٤٦].

---

(١)- تفسير الطبري ٢٤/٤٣.

(٢)- صحيح البخاري ٢/٨٦٧ برقم ٢٣٢٥ باب قول الله ﷻ وهو ألدّ الخصام .

(٣)- شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ٢١٩.

(٤) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ١٧٥-١٧٦ بتصرف .

(٥) - تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٢.

ينهى ﷻ عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت عن غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق، ولطف، ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه، ورد الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصّل لذلك، وأن لا يكون القصد منها، مجرد المجادلة والمغالبة، وحبّ العلو، بل يكون القصد بيان الحق، وهداية الخلق[1] .

فينبغي على المسلم إجراء الحوار الهادئ الهادف للوصول إلى الصواب مع المخالف. وله عدة طرق أهمها:

أ)-توقّع المخالفة من الطرف الآخر رغم وضوح الأدلة والبراهين.

قد يكون الطرف الآخر جاحدا، فيعاند، ويكابر بتأثير بعض العوامل كالكبر، والرغبة في الانتصار، والخوف من هزيمته أمام الآخرين ؛ فينبغي أن يُوَطّن الطرف الآخر نفسه على مخالفة خصمه له، فربما ينقلب الخصم بمكره على مَن ظهر الحق على يديه على الرغم من اقتناعه بأن مناظره على الحق ؛ فينبغي أن يهيئ الإنسان نفسه لمخالفة قد تكون من الطرف الآخر .

وها هو الخليل إبراهيم عليه السلام في جداله مع قومه (عُبّاد الأصنام) يجادلهم مجادلة مبنية على أصول شرعية، وقواعد عقلية، لا ينكرها إلا مكابر بدليل أنهم رجعوا إلى أنفسهم، وعرفوا أنهم مخطئون في عبادتهم لتلك الأصنام ؛ لكن سرعان ما نكسوا على رؤوسهم محاولين إيجاد عذر لأنفسهم.

وهكذا لا يأبى الظالمون إلا كفوراً وزادوا على ذلك بأن تحوّلوا إلى الخليل عليه السلام يصبّون غضبهم عليه؛ فعزموا على إحراقه نصرة لآلهة الضلال[2] . فبعد أن رجعوا إلى عقولهم، وتذكروا أن مالا يقدر على دفع المضرة عن نفسه، ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة عن غيره، أو على جلب منفعة له؛ فكيف يستحق أن يكون معبوداً، فقالوا ؛ أي: قال بعضهم لبعض فيما بينهم: (إنكم انتم الظالمون) على طريقة التوبيخ ؛ أي: أنتم ظالمون بعبادتها، أو ظالمون له [3] .

---

(١) – تفسير السعدي ١ /٦٣٢.

(٢) – انظر: تفسير الطبري ٤١/١٧، روح المعاني ٦٦/١٧.

(٣) -أبو السعود ٧٥/٦ بتصرف.

قلت: وكان ينبغي بعد تلك المراجعة للنفس، والإقرار بأن الخليل عليه السلام على حق أن يعودوا لرشدهم، ويسلّموا له؛ لكنهم سرعان ما نكسوا على رؤوسهم، وحاولوا أن يجدوا مخرجاً يتنصّلون به من الإقرار بالحق . والله أعلم.

ولما بين لهم عليه السلام ما أظهره من دلائل التوحيد، وإبطال ما كانوا عليه من عبادة التماثيل ما كان منهم إلا أن انقلبوا على الخليل عليه السلام منتقمين منه نصرة لتماثيلهم،وفيه دلالة على جهلهم (١) .

قلت: وفيه دلالة على أن المجادل أو المناظر قد يقتنع بأنك على صواب، لكنه قد ينقلب عدواناً وشراسة ؛ فينبغي أن توطن نفسك على تلك المخالفة التي نشأت منه عن عناد، واستكبار.

ب)–البدء بنقاط الاتفاق، والختم بنقاط الاتفاق كذلك .

إن من المسالك التي من شأنها أن تفتح مغاليق القلوب وتهيئ الطرق المقابل للإذعان بدلا من أن يشتغل فكره برد ما يسمع أن يكون البدء بالتذكير بالجوانب المتفق عليها بين الطرفين، فهذا من أعظم ما يهيئ قلوب المخالفين بين يدي المجادلة أو المناظرة (٢) .وقد علّمنا الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه الكريم عند مجادلة أهل الكتاب، فيقول عز وجل: ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أي: إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم،وأخبروكم عنها بما يمكن،ويجوز أن يكونوا فيه صادقين وأن يكونوا فيه كاذبين، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك،فقولوا لهم آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم مما في التوراة والإنجيل وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا(٣).

كما ينبغي أن نختم الحوار كذلك بالمتفق عليه،ونجعل المختلف فيه بين المتفق عليه؛بحيث لا يملك المخالف إلا بالتسليم بما بين المتفق عليه إذا رغب في الوصول إلى الحق.وهذا علمنا الله عز وجل إياه.قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

---

(١) – التفسير الكبير للرازي ٢٢/ ١٦٢ بتصرف.

(٢)– فقه الرد على المخالف . خالد السبت ص ٢٨١ بتصرف.

(٣) – تفسير الطبري ٢١ /٣ بتصرف.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فقد ذكر الله ﷻ في تلك الآية الكريمة أربع صفات لذاته العلية، وبدأ، وختم بصفتين متفق عليهما، وذكر صفتين بينهما من المختلف فيه. قال ابن عاشور: ومن بديع النظم أن جعل الوصفان المختلف فيهما مَعهم متوسطين بين الوصفين اللذين لا مرية فيهما ؛ حتى يكون الوصفان المسلَّمَين كالدليل أوّلاً والنتيجة آخراً، فإن الذي له ملك السماوات والأرض لا يليق به أن يتخذ ولَداً، ولا أن يتخذ شريكاً ؛ لأن ملكه العظيم يقتضي غِنَاهُ المطلقَ فيقتضي أن يكون اتخاذه ولداً وشريكاً عبثاً إذ لا غاية له[(١)]. فكل إنسان ولو كان كافرا، أو مبتدعا لا يعدم نقطة خير في قلبه يبدأ بها المسلم، فيدخل منها ثم ينمّيها، فلتكن بداية الحوار من الأمور المسلّمة من المتحاورين والمتفق عليها [(٢)] .

ج- تخلي كل من المتحاورين عن وجهة نظر مسبقة .

ينبغي على المتحاورين التخلي عن فهمهما السابق، وإعلانهما الاستعداد لقبول الحق؛حتى ينجح الحوار [(٣)]

قال ﷻ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].هذا على وجه الإنصاف في الحجة كقول القائل: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق، وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد، بل على أمرين متضادين وأحد الفريقين مهتد وهو نحن والآخر ضال وهو أنتم[(٤)] .

وهذا دليل على وجوب التخلي عن كل وجهة نظر سابقة ؛ حتى تهيئ نفس محاورك للتقبل منك.

د-ابتعاد كل من المتحاورين عن السخرية، أو البذاءة، أو الفحش.

---

(١) – تفسير التحرير والتنوير ١٨/ ٣١٨ بتصرف.
(٢) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ٢٦٦
(٣) – المصدر السابق ص ٢٧٤.
(٤) – تفسير القرطبي ١٤ /٢٨٩.

إن المؤمن ليس بفاحش، ولا لعان ؛ فينبغي أن لا يسخر من محاوره، ولو وجد منه هذا ينبغي أن ينهي الحوار على الفور ؛ لأن الله ﷻ قد نهى المؤمن من السخرية.قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [الحجرات: ١١].

لأن ذلك يخرج الحوار عن الموضوعية، ويحوّله إلى تنابز، وتهكم، وسخرية [١]

هـ– عدم تضخيم الخلاف بينك، وبين محاورك.

إن الحوار ينبغي أن يعزز مبدأ المشاركة للوصول إلى الحقيقة، فينبغي أن يتحاشى الحدة، والانفعال والغضب[٢]. لأنك لن تستطيع الوصول للصواب إلا بتضييق الخلاف، وعدم تضخيمه ؛ فالاختلاف أمر حتمي وسنة بشرية فإن الخلاف بين المسلمين يمكن تضييقه، وتحجيمه، وتقليل آثاره السلبية بالقضاء على أسباب تفجيره من بغى، وتحزب، واستحضار أسباب إطفاء جذوته من وحدة القصد، والأصل، والطريق [٣].كما يمكن تضيق الخلاف عند الحوار مع المخالف غير المسلم، وعدم تضخيمه، وهذا واضح في حوار الرسل(عليهم السلام) مع أقوامهم . وأوَضّح ذلك بنبي الله نوح عليه السلام عندما اتهمه القوم – هو ومن اتبعه بأبشع الصفات قاصدين تضخيم الخلاف . لكنه عليه السلام كما ذكر الله ﷻ قد علّمنا وجوب تضييق الخلاف مع المخالف غير المسلم من خلال ذلك.

قال ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾[هود:٢٨]. ومعنى: فعميت عليكم ؛ أي: خفيت عليكم، وبها تثاقلتم [٤].

أي: فعميت الرحمة عليكم ؛ فلم تهتدوا لها، فتقروا بها، وتصدقوا رسولكم عليها[٥].

---

(١) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ٢٧٤.
(٢)– فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية . د. رقية العلواني ٢٠٤ بتصرف .
(٣) – فقه الائتلاف– قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف . محمد الخزندار ٢٧.
(٤) – تفسير السعدي ١/ ٣٨٠.
(٥) – تفسير الطبري ١٢ /٢٨.

وهذا يدلّ على أن المسلم لا ينبغي أن يضخّم الخلاف مع مخالفه، وإنما يعمل على تضييقه . والله أعلم

المطلب الثاني:
قواعد، وضوابط في التعامل مع المخالف المسلم.

قد ذكرت في المطلب السابق: قواعد، وضوابط في التعامل مع المخالف غير المسلم، وهي بالتالي أحرى بنا أن نطبقها في تعاملنا مع المخالف المسلم، وها أنذا أذكر بعض القواعد، والضوابط المستنبطة في التعامل مع المخالف المسلم، وهي كما يلي:

١ – العمل على تأليف القلوب، ووحدة الصف، والتجاوز عن الهفوات.

إن الألفة بين القلوب المؤمنة– هي أو ل ثمرة من ثمار الإيمان ؛ لأن الألفة الحاصلة بين القلوب كفيلة بإذكاء المحبة وغرس الثقة بين المسلمين، والتجاوز عن الهفوات والعثرات[١]. قال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠] .

ومن المعلوم أن الإسلام لا يكتفي من المسلم أن يكون صالحاً في نفسه ؛ حتى يبذل جهده في إصلاح غيره ؛ ولهذا كانت فريضة الدعوة إلى الخير والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وكان كل مسلم في نظر الإسلام مكلفاً بالدعوة إلى دينه على قدر طاقته ووسائله [٢] .

وإن من خصائص منهج أهل السنة والجماعة أنه منهج يقوم على تأليف القلوب وتوحيد كلمة المسلمين ومعالجة التصدع والتفرق[٣] .

يقول ابن تيمية: " تعلمون من القواعد العظيمة التي – هي جماع الدين، وتأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين [٤] .

فيجب على المسلم عند تعامله مع مخالفه أن يعمل على تأليف قلبه، ويضمه إلى صف أهل الحق ؛ لا أن ينفّره ويزهّده في الحق ؛ فإن تأليف القلوب والعمل على وحدة الصف من أهم أساليب التعامل مع الناس ولذلك حث الإسلام على البِشْرِ، والطلاقة في التعامل [٥] .

---

(١)– فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية . د. رقية العلواني ١٢٧ بتصرف.
(٢) – انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف . د . القرضاوي ١٢٠
(٣) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ٢٥.
(٤)– الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٥٠
(٥) – فقه الحوار مع المخالف د . عبد الله الطريقي ٢٧، ٢٨ بتصرف .

وتأمل كيف أن الحق ﷻ يحثّ على تأليف القلوب، ووحدة الصف والتجاوز عن الأخطاء في أمر الله ﷻ لأبي بكر بالعفو عن مسطح بن أثاثه عندما تكلم في حق أم المؤمنين: (عائشة رضي الله عنها).

قال ﷻ: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] .

أي عما تقدم منهم من الإساءة والأذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم (١) .

وإذا تأملت لأدركت أن الله ﷻ ما أمر أبا بكر رضي الله عنه بالعفو، والصفح لمجرد الإنفاق على مسطح ؛ فالله ﷻ قادر أن يغني مسطح عن أبي بكر رضي الله عنه لكن تأليف القلوب، والتآلف بين أفراد المجتمع بالرغم من شناعة ما فعله هؤلاء، لأن الفرقة بين المسلمين كفيلة بتعطيل حركة المجتمع، وإضعاف المسلمين وتمكين أعدائها منها (٢) .

فعلى المسلم أن يكون له موقف متزن في الموازنة بين الحرص على الاتباع بالتزام السنة، وبين الحرص على التأليف بين القلوب والاجتماع بمراعاة أحوال الناس واستعدادهم للتقبل (٣) .

والنبي ﷺ قد ترك هدْم الكعبة منعا للافتراق ؛ فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت النبي ﷺ عن الجدر أمِن البيت هو؟ قال: نعم، قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت فما شأن بابه مرتفعا؟ قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية ؛ فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض(٤) .

يقول ابن تيمية (يرحمه الله) موضّحا أن تأليف القلوب أهم من فعل المستحب قال: "ولو كان الإمام يرى استحباب شيء، والمأمومون لا يستحبونه، فتركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان قد أحسن" (٥) .

---

(١) – تفسير ابن كثير ٢٧٧/٣.

(٢)– فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية . د . رقيه العلواني ٢٩٢.

(٣) – فقه الائتلاف – قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف – محمود الخزندار ٢٢٧.

(٤) – صحيح البخاري ٢ / ٥٧٣ برقم ١٥٠٧باب فضل مكة وبنيانها.

(٥)– الفتاوى لابن تيمية ٢٦٨/٢٢

وكان مما ذكره الله ﷻ عن إفساد فرعون أنه كان يفرّق بين أهل الطائفة المستضعفة بأن جعلهم شيعاً يستضعف طائفة منهم، وكان هذا بداية التمزق . قال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤]

أي فرقاً يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم مخالفته، أو يشيع بعضهم بعضاً في استخدامه أو أصنافاً في استخدامه أو فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة ليكونوا له أطوع[١] . فينبغي العمل على تأليف القلوب، ووحدة الصف، ونبذ الخلافات في المسائل الفرعية، وفتح الحوار مع المخالف للوصول إلى الصواب .

٢-عدم إسناد الخطأ الواقع من الفرد الواحد إلى فئة، أو مذهب، أو طريقة.

إنه لمن الظلم والإجحاف أن نسند الخطأ الذي قد يقع فيه الفرد لجماعة، أو مذهب على العموم، فنقول: (أصحاب المذهب أو الطريقة الفلانية أخطأوا)، بل ينبغي إسناد الخطأ لمن وقع منه ؛ فنقول: (أخطأ فلان)، إلا إذا أقرّ أصحاب المذهب، أو الجماعة هذا المخطئ على خطئه ؛ فتخطئه الطائفة لخطأ أحد أفرادها ليس من العدل والإنصاف [٢] .

فلا يجوز لنا أن نجعل من الأخطاء والانحرافات الفردية أخطاء جماعية نضيفها إلى الطائفة التي ينتسب إليها من وقع منه ذلك الخطأ [٣] .فالله ﷻ يقول: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

قال الطبري: أي ؛ كل نفس بما كسبت، وعملت من خير وشر مرتهنة لا يؤاخذ أحد منهم بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه [٤] .

فلا ينبغي أن نأخذ جماعة، أو أن نأخذ أحدا بذنب الآخرين لما فيه من ظلم بيّن. والله أعلم.

٣- إحسان الظن بأخيك المسلم والقناعة بأن كل إنسان له من الحسنات وعليه من السيئات.

(١) – التفسير الكبير ١٩٣/٢٤ .
(٢)– إنصاف أهل السنة، والجماعة، ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ١٦٦، ١٦٧ بتصرف
(٣) – فقه الرد على المخالف . خالد السبت ٢٢٣.
(٤) – تفسير الطبري ٢٧ /٢٨.

إن المسلم في تعامله مع المخالف المسلم ينبغي أن يحسن الظن به، وأن يفترض فيه الخير، ويعلم أن الأصل: براءة أخيه، وأن يحمل حاله على الخير، فكل إنسان يخطئ، ويصيب ويعثر وينهض، فعلينا أن نفتح للناس باب الأمل في عفو الله ﷻ، ومغفرته بجوار تخويفهم من عقاب الله ﷻ[1] .

فلأننا لم نكلف بالتنقيب عن قلوب الناس فقد ألزمنا الشرع بالأخذ بما يظهر لنا من خير أو شر . والأصل في التعامل مع المؤمنين إحسان الظن بهم، وعدم اتباع الأوهام، والظنون السيئة، والتوقعات في حقهم ؛ لأنها لا تغني من الحق شيئاً، فلنا من الناس الظاهر، والله يتولى السرائر [2] .

فإن الله ﷻ ينادي العباد الذين أسرفوا على أنفسهم أن لا يقنطوا من رحمة الله ﷻ مع إسرافهم على أنفسهم.قال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فإحسان الظن بأخيك المسلم يقوّي روابط الأخوة التي يؤكدها الحق ﷻ التي ينبغي أن تعرف أهمية المحافظة عليها حتى لا تفكّر في التخلص من كل من يخالف قناعاتك معتقدا أنك أنت الوحيد على الصواب ؛ لأنك بذلك متبع لهواك الذي جعلك تصل مرحلة أنك لا ترى إلا قناعاتك، وهذا دليل على الاستبداد الفكري القائم على احتكار الحقيقة [3] .

ومن الملاحظ أن بعض الذين ينتقدون المخالفين أنهم يركّزون على ذكر الأخطاء، والنقائض، والعيوب، ويُغْفلون الصّواب، والخير، والحسنات. وهذا بخس، وظلم للناس، ومخالفة لمنهج أهل الحق والعدل [4].

فهذا رسول الله ﷺ، وهو أسوتنا يُذكّر عمر ﷺ بحسنات حاطب بن بلعته حينما اتهمه عمر ﷺ بالنفاق عندما بَعَث حاطب إلى قريش يخبرهم بعزم رسول الله ﷺ على غزوهم – وهو كما ترى فَعل فعلاً شنيعاً إلى جانب ما تراه أنت من بعض إخوانك المخالفين – ؛ حيث قال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ؛ فدعني

(١)–انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف. د . يوسف القرضاوي ٢٢٤، ٢٢٥ .
(٢) – فقه الائتلاف — قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف . محمود الخزندار ١٤٤ بتصرف.
(٣)– فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية. د .رقيه العلواني ١٧١ بتصرف .
(٤)– إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ١٥٧.

فلأضرب عنقه ؛ فقال ﷺ أليس من أهل بدر؟ فقال لعل الله اطلع إلى أهل بدر ؛ فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر، وقال الله ورسوله أعلم [١] .

فكون حاطب من أهل بدر، وتلك حسنة رفعتْه، فقد ذُكرت له حينما أخطأ هذا الخطأ الفاحش، فغفر له ذلك الخطأ في مقابل تلك الحسنة العظيمة [٢] .

والله ﷻ قد بيّن أن الناس متفاوتون في امتثالهم لأمر الله ﷻ، واجتنابهم لنهيه، فمن الخطأ الفاحش أن تتصور الناس جميعاً ملائكة أولى أجنحة بلا أخطاء، ولا خطايا مع أنها حقيقة قررها الله ﷻ [٣] قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢].

فالله ﷻ قد جعل العباد على ثلاث مراتب، (فمنهم ظالم لنفسه)، وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات (ومنهم مقتصد)، وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات[٤] وكذلك من اجتنب الكبائر تكفر عنه السيئات، فلابد أن يكون هناك ظالم لنفسه، وموعود بالجنة ولو بعد عذاب يطهّر الخطايا [٥]

وتلك أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) عندما سمعت عروة بن الزبير يسبّ حسان بن ثابت لكثرة خوضه في أم المؤمنين (رضي الله عنها) ؛ فقالت يا بن أُخْتِي دَعْهُ، فإنه كان يُنَافِحُ عن رسول اللَّهِ ﷺ [٦] .

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم، وقال: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظ من قلبه يأمره وينهاه، وقال: ظلْمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه، وتكتم خيره [٧] .

---

(١) – صحيح البخاري ٤ / ١٤٦٣ برقم ٣٧٦٢ باب فضل من شهد بدرا.
(٢)– إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ١٥٨ بتصرف.
(٣)– ظاهرة الغلو في التكفير . د . يوسف القرضاوي ٦٨ بتصرف.
(٤)– تفسير ابن كثير ٣/٥٥٥.
(٥)– كتاب الإيمان . شيخ الإسلام ابن تيمية ٧/٤٨٥.
(٦)–رواه مسلم ٤/١٩٣٣ برقم ٢٤٨٧ باب فضائل حسان بن ثابت .
(٧)– البداية والنهاية ابن كثير ٩/٢٧٥

فقد أراد الله ﷻ للإنسان أن يكون فيه من الخير والشر من كل منهما بقدر . ويتفاوت نصيب كل امرئ من كليهما إلا الأنبياء والرسل(عليهم السلام). وتقوم أصول أهل السنة والجماعة على أن كل من كان في دائرة ملة الإسلام استحق الأخوة الإيمانية، وحقوق المسلم ويعامل بالموالاة بالقدر اللائق بمدى الخيرية التي فيه[١] .

فديننا أقرّ التفاوت الفطري، والعملي بين الناس فليس كل الناس في درجة واحدة من حيث قوة الإيمان، والالتزام بما أمر الله ﷻ به من أوامر، والانتهاء عما نهى عنه من نواهٍ، والتقيد بالمثل العليا [٢] . فلا يخلو إنسان من عيوب مهما كان فضله، ولكن قد يزهد الناس بفضله إذا ما أشيع نقصه وفي ذلك من المفسدة ما فيه[٣] .

وهذا سعيد بن المسيب يقول:" ليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب لابد، ولكن من الناس من لا تذكر عيوبه من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله" [٤] .

فعلى كل مسلم أن يحسن الظن بأخيه المسلم، وأن يقتنع بأن كل إنسان له من الحسنات وعليه من السيئات، وأن الله ﷻ – هو الذي سيعاقب العباد على تقصيرهم . والله أعلم .

٤– حمْل كلام، وتصرف المخالف على أحسن محامله، وعدم التعرض لنواياه وبواطنه.

إن الدين الإسلامي دين يقوم على البناء على ظواهر الآخرين، لا التتبع لما يخفون، أو البحث في خفايا نفوسهم ونياتهم [٥] . وإنما تحمل تصرفاتهم على ظاهرها، والله يتولى السرائر. فالمطلوب أن نتعامل مع المخالف بما يظهر منه قولا، أو فعلاً، كما روى عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إن أناسا كانوا يؤخذون

(١) – فقه الائتلاف – قواعد التعامل مع المخالف . محمود الخزندار ٢١٦، ٢١٧ بتصرف
(٢) – انظر: الخصائص العامة للإسلام . د . يوسف القرضاوي ١٦٧.
(٣) – فقه الائتلاف – قواعد التعامل مع المخالف . محمود الخزندار ١٣٣
(٤)– الكفاية في علم الرواية . الخطيب البغدادي ٧٩/١ بتصرف .
(٥) – فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية . د .رقية العلواني ١٢٧ بتصرف.

بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ؛ فمن أظهر لنا خيرا أمِنّاه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه، ولم نصدقه وإن قال: إن سريرته حسنة [١].

فالإسلام يؤكد على أهمية الاجتماع والاتفاق، ويحذر من الفرقة والشذوذ والتنازع [٢].

والأصل في تلك القاعدة، وهي حمل كلام وتصرف المخالف على ظاهره.

ما ورد في حديث أبي سعيد الخدري: عندما بَعَثَ عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ إلى رسول اللَّهِ ﷺمن الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ في أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لم تُحَصَّلْ من تُرَابِهَا، فَقَسَمَهَا بين أَرْبَعَةِ نَفَرٍ فقال رَجُلٌ من أَصْحَابِهِ كنا نَحْنُ أَحَقَّ بهذا من هَؤُلاءِ قال ؛ فَبَلَغَ ذلك النبي ﷺ، فقال ألا تأمنوني وأنا أَمِينُ من في السَّمَاءِ ؟، فقال يا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، قال: وَيْلَكَ أو لست أَحَقَّ أَهْلِ الأرض أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ قال ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قال خَالِدُ بن الْوَلِيدِ يا رَسُولَ اللَّهِ ألا أَضْرِبُ عُنُقَهُ قال لَا: لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي فقال خَالِدٌ وَكَمْ من مُصَلٍّ يقول بِلِسَانِهِ ما لَيس في قَلْبِهِ، قال رسول اللَّهِﷺ إني لم أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبِ الناس ولا أَشُقَّ بُطُونَهم [٣].

وعن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ ﷺ قال بَعَثَنَا رسول اللَّهِﷺ في سَرِيَّةٍ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فقال: لا إِلَهَ إلا الله ف، طَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ في نَفْسِي من ذلك، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ أَقَالَ لاإِلَهَ إلا الله، وَقَتَلْتَهُ؟!،قال قلت يا رَسُولَ اللَّهِ: إنما قَالَهَا خَوْفًا من السِّلَاحِ، قال: أَفَلا شَقَقْتَ عن قَلْبِهِ حتى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟ فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حتى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ[٤].

فما في القلوب لا يعلمه إلا الله ﷻ، فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإنما نحن مأمورون بالأخذ بظاهر الإنسان وظاهر كلامه . وقد كان

(١) – صحيح البخاري ٢/ ٩٣٤ برقم ٢٤٩٨ باب الشهداء العدول.
(٢) – مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٨/٣ .
(٣) – صحيح البخاري ٤/ ٤٠٩٣برقم ٤٠٩٤ كتاب المغازي.
(٤) – صحيح مسلم ٩٦/١ برقم ٩٦ كتاب الإيمان.

رسول الله ﷺ يعلم المنافقين بأسمائهم وقد استأمن حذيفة بن اليمان على أسمائهم، ومع ذلك عاملهم بالظاهر منهم، وهو الإسلام [1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " لأن الإيمان الظاهر الذي تجري عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن الذي يكون صاحبه من أهل السعادة في الآخرة ؛ فإن المنافقين قالوا كما ذكر الله:ﷻ (آمنا بالله وباليوم الآخر)، وردّ الله عليهم بقوله ﷻ: (وما هم بمؤمنين)، ومع ذلك لم يحكم النبي ﷺ فيهم بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم، ولا موارثتهم [2].

والحق ﷻ علّمنا أن نحمل تصرف المخالفين على أحسن المحامل، دون أن نتعرض لنواياهم وبواطنهم . وذلك عندما ذكر الله أن المشرك إذا كان في أسر بين يدي المؤمنين، ثم أعلن توبته، وأقام الصلاة وآتى الزكاة حكم لهم بإخلاء سبيلهم فقط ؛ لأنه ربما تظاهر بتلك الأفعال حتى يخرج مما هو فيه. قال ﷻ: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾[التوبة: ٥] .

أي: فاتركوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء[3].

وبعد أن أصبحوا في قوة حكم لهم بالأخوة في الدين إن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لأنهم غير مضطرين. قال ﷻ: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١١]. فقد حكم في الآية الأولى بإخلاء سبيلهم فقط ؛ لأنهم تحت الحصر، والأخذ، فربما أعلنوا إسلامهم، وفعلوا ما يفعله المسلمون من إقامة للصلاة وإيتاء للزكاة، لكن بواطنهم ونواياهم غير ما يظهرون، ولذا حكم لهم بإخلاء سبيلهم فقط، وهذا يؤكد أننا ينبغي أن نحمل تصرّف المخالف على أحسن محامله .

وهذا يؤكد سماحة الإسلام، وأنه صالح للتعايش مع الجميع، فهو يأمر أتباعه أنكم ليس من حقكم التنقيب عما في قلوب الناس، وأن الله ﷻ سيحاسب كل إنسان على تعبده لخالقه ؛ حتى يعيش الجميع في أمان، وسلام .

والله أعلم.

(١) – إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم . محمد العلي ١٧٩.
(٢) – الإيمان لابن تيمية ١٩٧، ١٩٨ بتصرف
(٣) – روح المعاني ٥١/١٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وأشكره ﷻ أن يسّر لي إتمام هذا البحث الذي أسأل الله ﷻ أن يتقبله مني، وأن يكتب له القبول.

والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه، وسلّم تسليما كثيرا. وبعد:

فلقد كان من فضل الله عليّ أن يسّر لي أسباب بحث هذا الموضوع المتميز المفيد الذي يحتاج المجتمع المسلم إليه في حياتنا المعاصرة ؛ حتى يتيقّن الجميع من سماحة هذا الدين، وسمو تعاليمه، وحثّه على التعايش الآمن ؛ حيث قد وضع ديننا لأفراد المجتمع الواحد مهما اختلفت عقائدهم الأسس التي بها يعيش الجميع في أمان طالما أن هناك مسالمة، فلكلٍّ من الحقوق في شريعتنا ما يضمن له الحياة، والعيش الآمن بشرط أن يؤدي كل طرف ما عليه من حقوق وواجبات.

وقد توصلت في ختام بحثي هذا إلى عدد من: النتائج، والتوصيات، وهي كما يلي:

أولا: أهم النتائج.

١-عظمة هذا الدين التي تتجلّى في احتواء القرآن الكريم على كل ما يحتاجه الإنسان لتحقيق السعادة الكاملة في الدنيا، والآخرة.

٢- سماحة الدين الإسلامي، وسموّ تعاليمه في وضع أسس التعايش السلمي الآمن للجميع.

٣- أن الوسطية لا تعني أبدا التنازل، أو التساهل، أو التخلي عن بعض ثوابت الإسلام، وإنما تعني أن لا يغلو الإنسان في دينه ؛ فيتجاوز ما حدّ الله ﷻ، ولا يقصّر فيه ؛ فينقص مما حدّ الله ﷻ

٤- أنّ للتعامل مع المخالف أهدافا، وأسُسا، وقواعد، وضوابط لو اتّبعها الناس في تعاملاتهم لسَعِدَ الجميع، وأن منهج أهل السنة، والجماعة يقوم على إبراز التسامح، والعدل، والإنصاف في التعامل مع المخالف.

٥- أن الاعتراف بظاهرة التنوّع، والاختلاف بين البشر ، وفقه طبيعة الاختلاف، وتأكيد روح التسامح، مع ضرورة اتباع الحق، والعدل، والإنصاف من أهم أسس التعامل مع المخالف.

٦- أن الفهم الصحيح لما ورد في كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ، يجعل الجميع يعيش في أمان، وسلام ؛ لأن الله ﷻ قد وضع الأسس لذلك، واتباع ما أمر الله به هو تعبّد، وتقرّب إلى الله ﷻ

٧- ليس معنى التسامح في ديننا – هو التنازل عن ثوابت هذا الدين، أو تجميد حكم الله، أو تعطيل حدّ من حدود الله، أو إهدار لتنفيذ منهج الله ﷻ، وإنما التسامح من الثوابت الشرعية.

ثانيا: أهم التوصيات.

١- وجوب الاهتمام بإبراز سماحة هذا الدين، ومنهجه الوسط العدل في تعامله مع المخالف، ويكون ذلك باتباع ما يأتي:

أ- على الجامعات في الدول الإسلامية الاهتمام بإبراز سمو تعاليم هذا الدين في التعايش السلمي الآمن للجميع، وذلك بتوجيه الباحثين، والدارسين لدراسة القضايا العصرية التي تتناسب مع المطلوب منا في هذا العصر ؛ لإزالة الصورة المشوّهة للإسلام، والمسلمين .

ب- إعداد منهج دراسي لتدريس: فنّ التعامل مع الآخرين، والتعامل مع المخالف لغرس روح التسامح، والفهم الصحيح لأمور ديننا بدلا من تركهم يأخذون الفهم من غير مصدره الصحيح.

ج- ترجمة البحوث والدراسات التي تعنى بإبراز الفهم الصحيح للوسطية، والتعامل مع المخالف،

والعمل على نشرها مع إيفاد الدعاة المتقنين للغات ؛ لإيصال رسالة التسامح في الإسلام للجميع.

وختاما أسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت في بحثي هذا في إبراز روح التسامح، والتعايش السلمي لبني البشر جميعا في ضوء منهج القرآن الكريم، والسنة النبوية في ذلك.

وما أبرئ نفسي من القصور، والتقصير؛ فتلك شيمة الإنسان. وإن الكمال المطلق لله ﷻ . أما أعمال بني الإنسان ؛ فإنها عرضة للخطأ، والنسيان . ومهما بالغ الإنسان في الحذر، والحرص فلا بد من العثرات والزلل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم أجمعين.

د/ محمود بن سعد بن عبد الحميد شمس.

الأستاذ المساعد بقسم القراءات

كلية الشريعة والأنظمة- جامعة الطائف.

المصادر والمراجع

١. أ ضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
٢. أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، الطبعة: الأولى. مكتبة الدار. المدينة المنورة . السعودية ١٤٠٥ هـ . تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي.
٣. الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . الطبعة: الأولى . دار الفكر: لبنان -١٤١٦هـ- ١٩٩٦م،. تحقيق: سعيد المندوب.
٤. أحكام القرآن . أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي . دار الفكر للطباعة والنشر . لبنان. تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
٥. أحكام القرآن، اسم المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر . دار إحياء التراث العربي . بيروت. ١٤٠٥هـ . تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
٦. أحكام أهل الذمة – ابن القيم الجوزية – الطبعة الثانية – دار العلم – بيروت ١٤٠١-١٩٨١م – تحقيق الدكتور . صبحى الصالح .
٧. أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبو إسحاق . الطبعة: الأولى . مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤٠٥هـ . تحقيق: صبحي البدري السامرائي.
٨. الأخلاق الإسلامية وأسسها – عبد الرحمن بن حسن بن حبنكه الميدانين – دار القلم دمشق بيروت – الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ .
٩. آداب الفتوى والمفتي والمستفتي . يحيى بن شرف النووي أبو زكريا. الطبعة: الأولى: دار الفكر - دمشق – ١٤٠٨هـ . تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.
١٠. أدب الدنيا والدين – الماوردي – تحقيق الدكتور محمد صباح – مكتبة الحياة بيروت ١٩٨٧م.
١١. الأدب المفرد – محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري – الطبعة الثالثة – دار البشائر الإسلامية – بيروت ١٤٠٩هـ - تحقيق محمد نوار عبد الباقي .
١٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . أبو السعود محمد بن محمد العمادي . دار إحياء التراث العربي . بيروت.

١٣. أساس البلاغة. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري . دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٤. الاستقامة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس . الطبعة: الأولى: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة – ١٤٠٣هـ . تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري. الطبعة:الأولى .دار إحياء التراث العربي. بيروت . ١٤١٧ هـ .تحقيق:عادل أحمد الرفاعي.
١٦. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . الطبعة: الأولى . دار الجيل . بيروت – ١٤١٢هـ . تحقيق: علي محمد البجاوي.
١٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي:دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.
١٨. اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ أحمد بن عبد السلام بن تيمية – تحقيق د. ناصر عبد الكريم العقل – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ العبيكان
١٩. ألقاب الصحابة و التابعين في المسندين الصحيحين: أبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الجبائي الأندلسي، دار النشر:دار الفضيلة القاهرة. ١٩٩٤م،تحقيق:د محمد زينهم محمد عزب + محمود نصار
٢٠. أمراض القلوب وشفاؤها . أحمد بن تيمية. الطبعة: الثانية. المطبعة السلفية. القاهرة– ١٣٩٩هـ .
٢١. إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم – محمد بن صالح بن يوسف العلى – الطبعة الثانية – دار الأندلس الخضراء – جدة ١٤٢٠هـ
٢٢. الإنصاف لأبي الحسن ساعد بن عمر بن غازي – دار الصحابة للتراث بطنطا – من(سلسلة صفات عباد الرحمن – ٣٢الطبعة الأولى .
٢٣. إيثار الإنصاف في أثار الخلاف – سبت بن الجوزي – تحقيق ناصر العلي الناصر الخليفي – ط ١ – دار السلام ١٩٨٧م.
٢٤. الإيمان – تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية – الطبعة الثانية – بيروت–

المكتب الإسلامى ١٣٩١هـ .
٢٥. بدائع الفوائد . محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله . الطبعة: الأولى: مكتبة نزار مصطفى الباز . مكة المكرمة – ١٤١٦ هـ . تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد.
٢٦. البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء: مكتبة المعارف . بيروت.
٢٧. البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله . دار المعرفة – بيروت — ١٣٩١هـ . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . دار الهداية . تحقيق: مجموعة من المحققين.
٢٩. تاريخ الجدل — محمد أبو زهرة — ط. دار الفكر العربي — بيروت — الطبعة الأولى
٣٠. التبيان في تفسير غريب القرآن .شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري . الطبعة: الأولى. دار الصحابة للتراث بطنطا – مصر – ١٤١٢هـ. تحقيق: فتحي أنور الدابلوي.
٣١. التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع تونس. ١٩٩٧م.
٣٢. التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي . الطبعة: الرابعة. دار الكتاب العربي لبنان ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .
٣٣. تصنيف الناس بين الظن واليقين: (ضمن الردود) بكر أبو زيد — دار العاصمة الرياض — الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
٣٤. التعريفات . علي بن محمد بن علي الجرجاني . الطبعة: الأولى . دار الكتاب العربي – بيروت — ١٤٠٥هـ . تحقيق: إبراهيم الابياري.
٣٥. تفسير البحر المحيط .محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي . دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت ١٤٢٢هـ . الطبعة: الأولى . تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي.، د.أحمد النجولي الجمل.
٣٦. تفسير البغوي . البغوي . دار المعرفة . بيروت، تحقيق: خالد عبد

الرحمن العك.
٣٧. تفسير البيضاوي . البيضاوي . دار الفكر . بيروت.
٣٨. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن . دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
٣٩. تفسير القرآن العظيم . إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء . دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ .
٤٠. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. الطبعة:الأولى دار الكتب العلمية –بيروت– ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٤١. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب — ١٣٨٧هـ . تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري.
٤٢. تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري . الطبعة: الأولى . دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م . تحقيق: محمد عوض مرعب.
٤٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن بن ناصر السعدي . مؤسسة الرسالة . بيروت ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م، تحقيق ابن العثيمين.
٤٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن . محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر . دار الفكر . روت .١٤٠٥هـ .
٤٥. الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري. الطبعة: الثالثة. دار ابن كثير. اليمامة – بيروت — ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. تحقيق: د.مصطفى ديب البغا
٤٦. الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: دار إحياء التراث العربي — بيروت. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٤٧. الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير: أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني. الطبعة: الأولى . عالم الكتب – بيروت — ١٤٠٦هـ .
٤٨. الجامع لأحكام القرآن .أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي .دار الشعب.لقاهرة.

٤٩. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي . الطبعة: الثانية:دار الكتب العلمية – بيروت — ١٤١٥هـ.
٥٠. حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة: عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي أبو محمد . الطبعة: الأولى. مكتبة الرشد – الرياض — ١٤٠٩هـ، تحقيق:عبد الله يوسف الجديع.
٥١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . الطبعة: الرابعة. دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥ هـ
٥٢. الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة — خالد بن عبد الله القاسم — الطبعة الأولى — دار المسلم للنشر والتوزيع — الرياض ١٤١٤هـ.
٥٣. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته — سيد قطب — دار الشروق — الطبعة السابعة ١٤٠٢هـ
٥٤. خصائص الشريعة الإسلامية — عمر الأشقر — مكتبة الفلاح — الكويت —الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
٥٥. الخصائص العامة للإسلام — د. يوسف القرضاوي — الطبعة العاشرة — مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر — بيروت ١٤٢٢-٢٠٠١م .
٥٦. دراسات قرآنية — محمد قطب — دار الشروق — القاهرة الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ
٥٧. دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية.أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس. الطبعة: الثانية . مؤسسة علوم القرآن.دمشق.١٤٠٤هـ .تحقيق: د. محمد السيد الجليند.
٥٨. دور القرضاوي في تأصيل الوسطية وإبراز معالمها — الشيخ . أكرم كساب — الطبعة الأولى — مكتبة وهبه القاهرة ١٤٢٩-٢٠٠٨م.
٥٩. الدورة الأولى فرع السنة والنبوية فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية — د. رقية طه جابر العلواني — الطبعة الأولى — جائزة الأمير نايف المدينة المنورة ١٤٢٦-٢٠٠٥م.
٦٠. رفع الحرج في الشريعة الإسلامية — د. محمد صالح عبد الله بن حميد

– دار الاستقامة – الطبعة الثانية ١٤١٢هـ

٦١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي.دار إحياء التراث العربي.بيروت.

٦٢. زاد المسير في علم التفسير . عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . الطبعة: الثالثة. المكتب الإسلامي .بيروت. ١٤٠٤هـ.

٦٣. زاد المعاد في هدي خير العباد .محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله . الطبعة: الرابعة: مؤسسة الرسالة . مكتبة المنار الإسلامية . بيروت. الكويت. ١٤٠٧هـ . تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط

٦٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامى بيروت – الطبعة الرابعة – ١٣٩٨هـ

٦٥. السلسلة الصحيحة – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ

٦٦. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. دار الفكر بيروت. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٧. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي: دار الفكر. بيروت تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد.

٦٨. سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي : مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٦٩. السنن الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي . الطبعة: الأولى .دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١١هـ . تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

٧٠. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله. الطبعة: التاسعة. مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣ هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسى.

٧١. السيرة النبوية لابن هشام .: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد. الطبعة: الأولى. دار الجيل . بيروت – ١٤١١ هـ . تحقيق: طه عبد الرءوف سعد .

٧٢. شرح القواعد الفقهية . أحمد بن الشيخ محمد الزرقا . الطبعة: الثانية. دار القلم – دمشق . سوريا – ١٤٠٩هـ . صححه وعلق عليه مصطفى أحمد الزرقا.
٧٣. الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف — د. يوسف القرضاوي — مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٦م .
٧٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان . محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الطبعة: الثانية .مؤسسة الرسالة. بيروت.١٤١٤ هـ. م١٩٩٣ م.، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٧٥. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري : دار إحياء التراث العربي – بيروت . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى.
٧٦. صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي . الطبعة الثانية. دار إحياء التراث العربي – بيروت — ١٣٩٢هـ .
٧٧. صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج . الطبعة: الثانية. دار المعرفة – بيروت — ١٣٩٩هـ . تحقيق: محمود فاخوري – د.محمد رواس قلعه جي.
٧٨. الضوابط المنهجية للاجتهاد في فقه الأقليات المسلمة — أ.د. صلاح الدين سلطان — الطبعة الأولى — مكتبة سلطان للنشر — الولايات المتحدة الأمريكية ١٤٢٩-٢٠٠٨م .
٧٩. طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل . الطبعة: الأولى. دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت — ١٤٠٣هـ .
٨٠. طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنهوي . الطبعة: الأولى: مكتبة العلوم والحكم – السعودية – ١٤١٧هـ. تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.
٨١. ظاهرة الغلو في التفكير — د. يوسف القرضاوي — الطبعة الثالثة — مكتبة وهبة — القاهرة ١٤١١-١٩٩٠م .
٨٢. ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث — محمد عبد الحكيم عامر — دار المنار الحديثة — الطبعة الأولى ١٤١١-١٩٩١م.
٨٣. العبادة في الإسلام — يوسف القرضاوي — مؤسسة الرسالة — بيروت الطبعة الثانية عشرة ١٤٠٥-١٩٨٥م.

٨٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٨٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق العظيم آبادي . الطبعة: الثانية. دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م .
٨٦. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة – د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢-١٩٩٢م.
٨٧. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي – د. يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة –الطبعة الرابعة – القاهرة ١٤٢٥-٢٠٠٥م.
٨٨. الفتاوى . محمد بن عبد الوهاب . الطبعة: الأولى: مطابع الرياض – الرياض . تحقيق: صالح بن عبد الرحمن الأطرم، ومحمد بن عبد الرزاق الدويش.
٨٩. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية: شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني . دار المعرفة – بيروت: قدم له حسنين محمد مخلوف.
٩٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . دار المعرفة – بيروت . تحقيق: محب الدين الخطيب.
٩١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب : الطبعة: الثانية . دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – ١٤٢٢هـ . تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.
٩٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن على بن محمد الشوكاني . دار الفكر . بيروت.
٩٣. الفروق: أسعد بن محمد بن الحسين النيسابوري الكرابيسي . الطبعة: الأولى. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الكويت. ١٤٠٢هـ. تحقيق: د. محمد طموم.
٩٤. فضائل الصحابة. أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني. الطبعة: الأولى: مؤسسة الرسالة– بيروت – ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م . تحقيق: د. وصي الله محمد عباس.

٩٥. فقه الائتلاف: قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف – إعداد محمود محمد الخزندار الرياض – الطبعة الأولى . دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ –مراجعة وتعليق الشيخ علي خشان .

٩٦. فقه الإختلاف – د. عمر سليمان عبد الله الأشقر – الطبعة الأولي – دار النفائس –١٩٩٤م.

٩٧. فقه الخلاف بين المسلمين – ياسر حسين برهامي – دار المسلم – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٩٨. فقه الرد على المخالف – خالد بن عثمان السبت – جدة – مركز المصادر للنشر والتوزيع ١٤٢٩-٢٠٠٨م.

٩٩. الفقيه و المتفقه: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي . الطبعة: الثانية: دار ابن الجوزي . السعودية . ١٤٢١هـ . تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي.

١٠٠. الفوائد . أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي. الطبعة: الثانية. دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م.

١٠١. فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرءوف المناوي . الطبعة: الأولى. المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ .

١٠٢. القاموس المحيط . محمد بن يعقوب الفيروز آبادي .مؤسسة الرسالة. بيروت.

١٠٣. القواعد: ابن رجب الحنبليي. الطبعة: الثانية.مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة ١٩٩٩م.

١٠٤. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام: علي بن عباس البعلي الحنبلي. مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٧٥ هـ . تحقيق: محمد حامد الفقي.

١٠٥. كتاب سيبويه. أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه. الطبعة: الأولى: دار الجيل – بيروت . تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

١٠٦. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس. الطبعة: الثانية. مكتبة ابن تيمية . تحقيق: عبد الرحمن

بن محمد بن قاسم النجدي.

١٠٧. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس . الطبعة:الثانية . مكتبة ابن تيمية تحقيق: بد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.

١٠٨. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس.الطبعة:الثانية .مكتبة ابن تيمية . تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.

١٠٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي .دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق:عبد الرزاق المهدي.

١١٠. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) . أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. الطبعة: الأولى. دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م،، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

١١١. كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها- د. يوسف القرضاوي — الطبعة الثانية — دار الشروق القاهرة ٢٠٠٨م .

١١٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي . مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤١٩هـ . تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري.

١١٣. لتوقيف على مهمات التعاريف . محمد عبد الرءوف المناوي . الطبعة: الأولى. دار الفكر المعاصر ، دار الفكر . بيروت ، دمشق ١٤١٠هـ . تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

١١٤. لسان العرب . محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . الطبعة الأولى.دار صادر- بيروت .

١١٥. المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. الطبعة: الثانية: مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب .١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م .، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.

١١٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .أبو محمد عبد الحق بن غالب

بن عطية الأندلسي. الطبعة: الأولى . دار الكتب العلمية لبنان ١٤١٣هـ-١٩٩٣م. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

١١٧. مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . الطبعة: طبعة جديدة .دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون . بيروت- ١٤١٥هـ . تحقيق: محمود خاطر.

١١٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله . الطبعة: الثانية. دار النشر: دار الكتاب العربي. بيروت – ١٣٩٣هـ. تحقيق: محمد حامد الفقي.

١١٩. المستدرك على الصحيحين . محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري . الطبعة: الأولى . دار الكتب العلمية .بيروت . ١٤١١هـ . تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني .مؤسسة قرطبة. مصر.

١٢١. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني . الطبعة: الثانية . مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م . تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفى.

١٢٢. معجم مقاليد العلوم . أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . الطبعة: الأولى مكتبة الآداب – القاهرة – مصر – ١٤٢٤هـ . تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة.

١٢٣. معجم مقاييس اللغة . أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. الطبعة الثانية . دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م . تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

١٢٤. معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم .

١٢٥. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار . محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله . الطبعة: الأولى .مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠٤هـ . تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس.

١٢٦. المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم الحسين بن محمد . دار المعرفة – لبنان . تحقيق: محمد سيد كيلاني.
١٢٧. مناهج الجدل في القرآن الكريم – د. زاهر عواض الألمعي – طبعة مطابع الفرزدق التجارية – الرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ
١٢٨. مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني .الطبعة: الأولى: دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م .
١٢٩. منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس . الطبعة: الأولى: مؤسسة قرطبة – ١٤٠٦هـ .
١٣٠. تحقيق: د. محمد رشاد سالم
١٣١. منهج التربية الإسلامية – محمد قطب – الطبعة السابعة – دار الشروق –١٤٠٣-١٩٨٩م.
١٣٢. الموافقات في أصول الفقه . إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكى . دار المعرفة – بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.
١٣٣. ميزان الاعتدال للإمام الذهبي – تحقيق: على محمد البيجاوي – دار المعرفة – بيروت
١٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي. دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م . تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.
١٣٥. وسطية الإسلام وأمته في ضوء الفقه الحضاري – عمر بهاء الدين الأميري – الدوحة ١٩٠٦م.
١٣٦. وسطية أهل السنة بين الفرق – د . محمد بكريم محمد باعبدالله – الطبعة الأولى . دار الراية – الرياض –١٤١٥-١٩٩٤م.
١٣٧. الوسطية في الإسلام – محمد عبد اللطيف الفرفور – الطبعة الأولى. دار النفائس – بيروت –١٤١٤- ١٩٩٣م.
١٣٨. الوسطية في القرآن الكريم. د . علي محمد الصلابي – الطبعة الأولى – القاهرة – المؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة – ٢٠٠٧ م .
١٣٩. الوسطية في ضوء القرآن – د. نا صر العمر – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٤-١٩٩٣م.

١٤٠. الوسطية في الإسلام تعريف وتطبيق – د. زين عبد الكريم الزيد – الطبعة الأولى – دار العاصمة الرياض ١٤١٢هـ .